

نبض الأرض

مبدون



أمرء النصر والتحرير



الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org



جمعية الممارق الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

نبض الأرض

مبدون





الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٤٧١٠٧٠ / ٠١ - ص.ب. ٢٤ / ٢٢٧ - ٢٥





الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org

- قصة قرية: رمز الصمود «ميدون».
- العنوان: نبض الأرض.
- الكاتب: فاطمة محسن القرصيفي.
- الدرجة: نالت المرتبة الأولى في مسابقة «القرى الشاهدة والشهيدة» التي نظمتها الوحدة الثقافية المركزية في حزب الله ورعتها بلدية بنت جبيل.
- الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- الطبعة: الأولى حزيران ٢٠٠٤م - ربيع الآخر ١٤٢٥هـ.

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَدْ كُتِبَ فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ
 أَنَّهُ لِلْغَضَبِ عَبْدٌ﴾

الأنبياء، الآية/ ١٠٥

الإهداء

إلى كل قطرة دم ثائرة أنبتت زنبقة حمراء.
إلى كل ذرة تراب لفضت، لعنت يهودياً
داسها.

إلى كل حجر سينطق «يا عبد الله، هذا
يهودي ورائي فاقتله»^(١).

فأهمة

(١) البخاري، ج ٤، ص ٥١.

(٢) الشيخ علي الكوراني العاملي، معجم أحاديث الإمام
المهدي، ج ١ ص ٣١٢، ٣١١.

ميدون تتلمس الحياة

تسلّت خيوط الفجر من خلال ستائر غرفة الحاج أبو علي ماضي المطلّة على الضيعة، تعلن بدء يوم جديد.
يا معين.

حاجة أم علي، صَبَحَكَ اللهُ بألف خير، أصبحنا وأصبح الملك لله، لا زالت صلاة الفجر واجبة، قال الحاج ذلك وهم بالخروج من الغرفة ليتوضّأ.

ردّت عليه الحاجة. أسعد الله صباحك يا حاج، سأوافيك حالاً. وهمت بجمع الفراش عن الأرض، إنتبهت أن أريكة ولدها علي خالية، فقد استيقظ وخرج من الغرفة دون أن يشعر به هي والحاج.

رمت الفراش من يدها وخرجت، وجدته في المطبخ يجمع زاد الطريق.

بادرته قائلة: الحمد لله...

وعادت لتكمل جمع الفراش عن الأرض.

عاد الحاج متوضّئاً، وجد سجادة صلاته جاهزة، والحاجة خارجة لتتوضّأ.

وقفت لحظة لتقول له سأتوضاً وأرجع حالاً، ولكن لي
عندك طلب

. ما هو؟ طلباتك أوامر.

. استغفر الله يا حاج ولكن لي رجاء، لا تقرأ دعاء
الصباح قبل عودتي، أحب متابعة قراءتك.

(فيا من توحد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت
والفناء، صل على محمد وآله الأتقياء وأسمع
ندائي واستجب دعائي وحقق بفضلك أملي
ورجائي يا خير من دعي لكشف الضر والمأمول
لكل عسر ويسرك أنزلت حاجتي فلا تردني من
سني مواهبك خائباً يا كريم يا كريم
برحمتك يا أرحم الراحمين وصل الله على خير
خلقه محمد وآله أجمعين والحمد لله رب
العالمين).

. تقبل الله طاعتكم يا حجاج، صباح الخير.

. تقبل الله منا ومنك يا ولدي، أسعدت صباحاً. قالها
الإثنان بصوت واحد.

. أين كنت يا علي: سأل الحاج.

. كنت أجهز أغراضي لأنطلق الى عين التينة لنحضر
المياه، فأحمد وحسين بانتظاري على الموعد الذي اتفقنا

عليه بالأمس، ولكن لم أشأ الخروج قبل أن أراكم، دخلت الغرفة وأنتم في نهاية دعاء الصباح فانتظرت قليلاً.
 . أجرك الله يا حبيبي، قالت الحاجة ذلك وسألته إذا انتهى تجهيز أغراضه فأجابها، نعم.

إنحنى علي قبل يدي والديه، ودعهما وقال: أبلغا أخواتي السلام عندما تستيقظان، وخرج.

رعاك الله يا ولدي. أبو الحسن علي عليه السلام يرافقك.
 التفتت الحاجة صوب الحاج مستغربة لماذا صمت بعد خروج علي؟

تناهى الى سمعها بعض مما كان الحاج يتمتم به.
 «راحت عليك يا حاج، سقى الله أيام زمان، أيام النشاط والخروج بعد صلاة الفجر، أيام الزيتون والصعتر». «إيه، الحمد لله أني لا زلت أقوم بزراعة التبغ والإشراف على مزرعة الماشية».

بينما كان الحاج مستغرقاً بتأملاته وتحسره على أيام الشباب، نبهه صوت الحاجة أم علي تخاطبه:
 البركة فيك يا حاج. ألبسك الله ثوب العافية، شو بدنا نعيش عمرنا وعمر أولادنا؟ اشتغلنا وجاهدنا وما قصرنا، والآن الحمد لله عندك شاب يساوي قبيلة ويا نعم ما ربيت.

إيه..... تنهد الحاج أبو علي وقال:

. أتذكرين كيف كنا يا حاجة ؟

نخرج كل يوم فجراً، ننهي أعمال المزرعة، نحضر المياد ثم نذهب بالحليب والجبن الى مشغرة نبيعه ونرجع الى حقول التبغ.

أعود وأقول لك الحمد لله ما قصّرنا، فلنترك الساحة لغيرنا.

قالت الحاجة ذلك وقامت. جمعت سجادة الصلاة وضعتها فوق الفراش في زاوية الغرفة، وسألت الحاج ما رأيك بفنجان قهوة قبل أن تخرج لتفقد المزرعة.

. لا بأس يا حاجة كما تريدين.

. أرجوك يا حاج أيقظ البنات كي يذهبن الى المدرسة، وخرجت.

خرجت الحاجة الى المطبخ. عادت بعد قليل ومعها صينية القهوة.

قال الحاج لها: أتعلمين يا حاجة أن ما يجعلني أفتخر بولدي علي وأطمئن بإلقاء الحمل الثقيل عليه، هو إيمانه والتزامه بالقيم، ناهيك عن صدقه وإخلاصه ونشاطه، وهو يطبق ما كان والدي رحمه الله يوصينا به.

. ماذا كان يوصيكم يا حاج؟

قال الحاج:

كان يوصينا دائماً بالإستيقاظ باكراً والسعي لطلب
الرزق وأذكر تماماً الحديث الذي كان يقوله لنا «إن الله
يكتب الرزق بين الطلوعين»^(١).

. والله نعم ما ربيت يا حاج.

. وانت لا تستخفي بجهدك.

رفعت الحاجة وجهها نحو السماء وقالت: الله يرضى
عليك يا علي.

الله يريحنا يا حاج من هالحالة. إن علياً يقطع قلبي،
عندما أراد يحمل هم المياد والطريق والمدرسة والمستشفى،
متى يتفرغ لحياته يا حاج؟

وسكتت على مضض.....

يا بنات، هيا يا أمي، استيقظا لتجهزن نفسيكما للذهاب
الى المدرسة، صبب الحاج القهوة في الفناجين، وضع الركوة
من يده وقال :

. هيا تفضلي على فضلك قبل أن تبرد القهوة، سلميه
لخالقة واتكلي على الله . القادر مبدل الأحوال.

(١) الطلوعين: طلوع الفجر وطلوع الشمس.

(٢) حديث شريف.

آه، الله كريم، تنهد الحاج وأخذ هنجاناً قدمه للحاجة، أمسك الثاني وسم بالله.

مر علي بطريقه على حي خلة المعصرة بأبي محمد، للذهاب على عربته وأحضار الماء فوجد أحمد وحسين ينتظران هناك.

خرج الجميع. كانت الطريق طويلة نوعاً ما نظراً لوعورتها، ولكن برغم ذلك كانت طريق الذهاب أسهل من طريق العودة بالماء، فالقرية تقع على رابية مرتفعة نسبياً يبلغ إرتفاعها ألفاً وأربعئة متر عن سطح البحر، بين وادي الجبور من الغرب ووادي الليطاني من الشرق، وبلدة زلاية من الجنوب ويحمر البقاع وعين التينة من الشمال.

كانت قرية ميدون كالوردة العطشى تتمايل لتحنني ذابلة بين ينابيع الماء، تخالها تنحني بشغف لسماع خرير المياد حولها كأم حنون تنحني لسماع مناغاة ولدها الصغير.

فرحلة الماء، كما كان يسميها الشبان، كانت هي معظم الأحيان الى قرية عين التينة، فالنبع هناك كان وفيه الماء، غزيراً.

وأيام الشتاء القاسية كانوا يأتون بالمياح من ينابيع قريبة لصعوبة الطقس، مثلاً نبع عين ميدون الذي يتوسط القرية، أو عين الزهرة مع قلة مياها.

كانت طريق (رحلة المياه) أشبه بحلقات تدارس لوضع الضيعة وهموم أهلها ومطالبة السلطة بتنميتها ولو أنهم كانوا يلونونها ببعض الأحاديث عن أخبارهم الخاصة. يبادر علي رفاقه بالقول:

يا شباب، الى متى سنبقى مستسلمين لهذه الحال فكل المدن والقرى تتطور من حولنا يجب ألا يبقى همنا المياه فقط، فهناك هموم أكبر من هم إحضار المياه، ما رأيكم؟ قال أحمد:

معك كل الحق يا علي، ولكن ما العمل برأيك؟ هل نترك أهلنا يخرجون لإحضار الماء والعمل بالأرض؟ وأنت تعلم ما يعانون بالعمل في المزارع وأخذهم الحليب وبيعه في مشغرة والقرى المجاورة ناهيك عن زراعة التبغ. هنا تدخل حسين ليقول:

نعم يا أحمد علي على حق، لدى الشباب في القرى والمدن المجاورة. لا أقول في بيروت، ولكن أقله في البقاع. هموم كثيرة كهم الدراسة والعمل بميادين عديدة ومتنوعة.

عاد علي ليقول:

ما أقصده هو أنه لا بد لنا من تحرك لتحسين طريقة عيشنا، فالمنطقة على كف عسريت، والله أعلم ماذا

سيحدث، وأنتم أعلم بما يجري من أحداث دامية بين
الإخوان في بيروت، ألا تسمعون الأخبار؟
أجابه أحمد:

معك كل الحق يا علي أقولها للمرة الثانية.

عندها غير أحمد لهجته وقال:

والآن حفظنا هموم القرية وأهلها جيداً، ولكن فكروا
بحلول ناجحة لها.

ولننتقل لأخبارنا الخاصة علنا نتسلى ونلون مشوارنا.

رد علي متعجباً.

أخبارنا الخاصة؟!

لا لا أتركنا منها فليست بأحسن من أخبار القرية، أترك
كل واحد بهمه ولنتفرغ لهم القرية ونفكر ماذا يمكننا فعله.
وصل الشباب الى هدفهم، وبينما هم ينتظرون دورهم
عند النبع جلسوا، وضعوا ما لديهم من زاد وبدأوا بتناول
طعامهم.

أمسك علي قطعة من الخبز المرقوق وقبل أن يغمسها في
علبة اللبن نظر إليها قلبها بين أصابعه وقال: يا إخوة، الله
يشبعنا النعمة ويديم على أمهاتنا وعلينا الصحة والعافية،
ويطيل أعمارهن.

وعاد ليقول، ولكن هذه ليست حالاً مريحة.

هات مالديك يا أبا الأفكار، قالوا ذلك وانتظروا رده.
قال علي: لا بد لنا من حل جذري ومنطقي لهذه الحال،
فلم نحس بحجم هذه المسألة قبل أخذ عبئها عن أهلنا،
وأنا أرى أن نجمع شباب القرية بمكان ما بعد صلاة المغرب،
بعد أن يكون الجميع قد عادوا من عملهم لتتباحث بهموم
القرية بشكل جدي.

. حل جيد!!

عانق الشباب علياً وقالوا: ألم نسمك أبا الأفكار؟
جمع الشباب أغراضهم وقرروا العودة بالمياه الى ميدون،
القرية المحرومة إلا من الشموخ الذي منحها إياد الخالق
(عز وجل)، شموخ الموقع الذي أنبت شموخاً وإباءً في نفوس
أهلها.

كان طريق العودة الى القرية صعباً جداً. قضاة الشباب
يتناوبون الحديث عن مشاكلهم وقضاياهم الخاصة.
دائماً كان علي المقدم على الجميع. فكما انتدبه الشباب
لتقرير الاجتماع بدأوا بأخباره.

قال له أحمد: نحن دائماً نخبرك كل شيء عنا أما أنت
فتحتفظ بأخبارك لنفسك، ولكن هذه المرة لن نسمح لك
بالهروب، أليست الثقة متبادلة، أم ماذا؟

. أكيد يا شباب لا سمح الله أن يكون غير ذلك! ولكن

قصتي طويلة وأظنها ستجلب لكم وجع القلب فما لكم
ولمعرفة؟

لا عليك يا علي. أخبرنا، ألا يمكننا مساعدتك بشيء
ما؟ راقب علي الطريق، وما تبقى منه، فأنفرت أساريره.

الحمد لله، لقد تجاوزنا «حي الوادي»^(١) و«خلة
المعصرة»^(٢)، قليلاً وسنصل إلى «قلعة غزالي»^(٣) وهكذا لن
يجبر على البوح بأسرار يريد الاحتفاظ بها في صندوق
قلبه فهو قد أقفل عليها ريثما يأذن الله.

الح الشباب عليه بسؤالهم، فأجابهم علي إجابة زادتهم
حيرة ولم يستفيدوا شيئاً، قال: إذا كانت قصتي قبل أن
يهاجر أبو حيدر بعائلته خارج القرية شبه مستحيلة فكيف
هي الآن؟

استغرب الشباب وقالوا: أبو حيدر؟

وما علاقته بالأمر؟

أبو حيدر ترك القرية سعياً لتعليم أولاده في بيروت.

ما علاقته؟

قالها علي وتمتم بكلمات لم يفهمها الشباب.

. علاقته أن فاطمة ابنته؟

. سأله الشباب ماذا قلت؟ أعد لم نفهم.

(١، ٢، ٣) أسماء أحياء في قرية ميدون.

فقال علي: هذا المطلوب، وابتسم.
 عندها صرخ الشبان: يا الله ما أعمق سرك يا علي.
 أجابهم هذا المطلوب، فالأشياء مرهونة بأوقاتها.
 أخذهم الحديث وكادوا يتجاوزون منزل الحاج أبو احمد.
 الحمد لله على السلامة يا شباب هذه حصتكم، يا أحمد
 لنكمل الرحلة، السلام عليكم وإلى اللقاء القريب.
 أكمل الشباب الطريق إلى خلة المعصرة، لم يكن علي
 ليرضى الدخول إلى منزله إلا بعد مساعدة رفاقه بإدخال
 المياه إلى منازلهم.
 كانت آخر حصّة من الماء تنزل في منزل الحاج أبو علي
 ماضي.
 عاشاكم الله يا شباب، قليلاً من الوقت ويحين موعد
 صلاة المغرب، نقيم الصلاة عندنا ونتناول طعام العشاء
 على مائدة الوالدة، على ما أظن كانت تنوي تحضير أكلة
 محشي ورق العنب بالزيت، ألا تحبون هذه الأكلة؟
 نحبها!!! لقد سال لعابنا ولكن لا نستطيع الدخول
 فأنت متعب ونحن كذلك، أدخل أنت، تناول عشاءك وادع
 لنا، ولا تنس أن لدينا اليوم الغد مشاريع كثيرة، فاليوم لم
 نستطع جمع الصعتر، ولا تنس أيضاً دراسة مكان وموعد
 الاجتماع الذي تكلمنا عليه.

السلام عليكم.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. حفظكم الله ورعاكم
والى اللقاء.

بعد أن توجه الشبان نحو الطريق التفت أحمد الى
الخلف وقال لعلّي:

لا تظن أننا نسينا أخبرك فغداً هي أولاً وبعدها كل
شيء، وانطلقوا.

لم يكد علي يخرج مفتاحه الخاص ليفتح باب منزله
حتى فتحتّه الوالدة التي كانت نار الإنتظار قد اشتعلت
بداخلها لتأخره وقالت:

. أعطاك الله العافية يا ولدي، لماذا تأخرت؟

. ألا تعرفين، يا والدتي، صعوبة الطريق؟

. أعرفها يا علي، لكنك تأخرت عن المعتاد، أليس كذلك؟

فقد عاد والدك من المزرعة منذ مدة مع أنّه قد تأخر لأنه
استلم كمية علف جديدة للماشية.

. عذراً يا والدتي، فاليوم أحضرنا كمية مياد كبيرة،
وقضينا طريق العودة نتباحث بأمور القرية وأحوالها
المزيرة.

. تتباحثون بأمر القرية؟!

وهل تستطيعون فعل شيء لهذه القرية المحرومة؟

فأباؤكم حتى تاريخ اليوم، لم تثمر مساعيهم وجهودهم بتعيين مختار للقرية؛ فهم دائماً عند كل طارئ، ينتدبون أكبرهم سناً لحله. والعذاب الأكبر عندما يحتاج شخص إلى وثيقة ولادة أو وفاة، فتكون العملية أشبه بالجهاد للحصول على معاملة الذهاب لأداء فريضة الحج.

يا حبيبي يا علي..... بماذا تطالبون؟ ولمن؟

بمختار؟ أم ببلدية؟ أم بماذا.....؟

كل ما أراد يا علي، هو أن نتمسك بقريتنا ومزارعنا، ولا نهجرها على الرغم من شظف العيش فيها، فلا بد من أن يأتي يوم تحل فيه أمورنا وتحسن أحوالها بإذن الله.

مهما كانت ظروف قريتنا قاسية كبردها وصعوبة الحصول على الماء فيها فلن نهجرها، وسنحافظ عليها بإذن الله تعالى. سنبقى سكانها الأوفياء وتبقى مسقط رأسنا وسنعيد إليها كل من هجرها.

ولكن أرجوك يا ولدي، لا تشغل بالي فأولاد الحلال كثيرون وكثيرون. أنت والشبان تريدون مصلحة القرية ولكن لا تعرف بم تفسر تحركاتكم؟ لم نعد أنا ووالدك بعمر نقوى فيه على تحمل أي مصيبة. أرجوك إلزم عملك بالأرض والمزرعة، ألم ترفض الذهاب إلى مشغرة لإكمال دراستك وتفرغت لعملك؟

فلا بد للأرض من أن تكون وحية ومخلصة لوفائك فإنك
إن أعطيتها بإخلاص أعطتك بسخاء فالأرض لا تعرف
الخيانة.

هنا صرخت مني، أخت علي، من الداخل تستعجل
والدتها. هيا يا والدتي، فنحن لم نعد نحتمل الجوع.
قادمة أنا يا والدتي، دقائق معدودة.
هيا يا علي، بدل ثيابك وصل فوالدك بانتظارك لتناول
العشاء.

دخلت الحاجة هدأت بناتها، وأخبرت الحاج أبو علي
بقدوم ولده، فقال لها لقد سمعتك تتحدثين معه في الدار،
هل حدث شيء لاسمح الله؟

قالت الحاجة: لا، ولكن..... وصمتت.
ما بك تكلمي.

لا شيء. يخبرك هو عندما ينتهي، فقد دخل ليبدل
ملابسه وسيأتي لأداء الصلاة.

والعشاء يا والدتي؟ سألت البنات.
سأقوم أنا وأتي بالطعام.

في هذه الأثناء دخل علي على والدته.
السلام عليكم يا والدي.

.وعليك السلام يا علي، أعطاك الله العافية.

انحنى علي كعاداته ليقبّل يدي والده فسحبها الوالد قائلاً، لا يا علي.

ولكن علياً أصر على ذلك.

. ألسـت والدي؟

فلطالما تعبـت هذه اليد ولا زالت، وعملت بالحر والبرد وبالأرض كي تراني شاباً، ألبسك الله ثوب العافية يا والدي وأطال عمرك بركة تغمـرنا.

أطرق علي ويكـى. بكى لأنه أحس بكل خطوة كان يخطوها والده وكل ضربة معول في الأرض أو جولة تفقد في المزرعة أو.....

. لا تقسّ على نفسك يا ولدي فمن واجبي يا علي، وما همت به أقل من واجبي بكثير، فما نفع الإنسان إذا لم يـقم بواجبه؟

ألم تسمع الحديث الشريف: «الخلق كلهم عيال الله وأفضلكم عند الله أنفعكم لعياله».

لولا تقدّم السن بي يا علي لم أكن لألقي عليك هذا الحمل الثقيل فأنت شاب ولا يزال عودك طرياً والحمل ثقيل. في تلك اللحظات دخلت الحاجة أم علي بالعشاء، وضعتـه وقالت هيا تفضلوا على فضلكم، هيا يا بنات، تفضلن.

تنهدت منى وقالت الحمد لله أتى الطعام.

عذراً عزيزاتي، فتأخير علي اليوم آخر موعد العشاء
وانتِ جائعات، وزعت الحاجة أرغفة الخبر، جلست وقالت:
هيا، سموا بالله تناول علي الرغيف من يد والدته وسألها
مستغرياً، متى عجنت وخبزت؟ قالت عجنت بالأمس قبل
أن أنام، ولكني خبزت اليوم بعد أم أحمد على التنور.
سلمت يداك يا والدتي.

. هيا تفضلوا. قالتها الحاجة من جديد.

أمسك علي رغيف الخبر، بدأ يقلبه بأصابعه، أمسكه
بكلتا يديه وكأنه يكلمه، يقلب الرغيف بين يديه تارة
ويحدق فيه تارة أخرى.

يا رغيف مالك كالمرأة؟!

تعكس حمرة وجه أمي الملهب، وتراقص وكأنك كفاها
تمدك على الكارة^(١).

ودمعت عيناه.

هنا انتبهت والدته وقالت: علي أبو الحسن ﷺ
يحرصك يا علي تفضل يا حبيبي واقتربت منه لترى عينيه
الدامعتين وقالت: تبكي؟!

(١) الكارة: قطعة من القماش محشوة بالصوف دائرية الشكل يمد عليها
العجين بعد أن يرقق ليصلى بجدار التنور.

. ما بك يا علي؟

. لا شيء يا والدتي تذكرت شيئاً تافهاً.

. تافهاً؟؟

لا أظنك تدمع لشيء تافه، ألم تكني نفسك بأبي

الحسن منذ صغرك؟

. ألم تكني داحي باب خيبر ﷺ مثلك الأعلى؟

لا عليك يا والدتي، وابتسم ابتسامة حزينة دامعة.

هنا تدخل الوالد ليضع حداً للحديث لأنه أحس بحنان

ولده وفهم أفكاره.

بسم الله، سمّ الحاج وبدأ الجميع بالطعام.

وفي أثناء تناولهم الطعام كان حديثهم عن جلب المياه إلى

المزرعة وما يواجهه الشبان خلال (رحلة المياه) كما أسموها.

هنا غمر الحاج مهدي ولده وقبّل جبهته قائلاً أرجوك يا

ولدي، لا تقف عند آلامي والأم والدتك، فنحن كنا ولا نزال

مسرورين بكل عمل نقوم به، ما دام يرضى الله لأجلكم أنت

وأخوتك آباء المستقبل. إنشاء الله..

هنا ابتسم علي وتمتم آباء؟؟ مستحيل إذا لم يقدر الله

ويرجع من..... وصمت.....

انتبه الحاج وقال:

. ما بك يا علي؟

. لا شيء يا والدي. لا تشغل بالك هأنذا أتمتم كثيراً،
إيه..... قال الحاج لنفسه: ربي سامحني ولا تجعلني من
القوم الظالمين، أظنني ظلمت علياً.

هنا دخلت الحاجة وقالت: ألم تستأخروا عودتي بإبريق
الشاي؟

قال الحاج: نعم، . ولكننا كنا نستعرض أمورنا وتركناك
لراحتك.

هنا مثل الحاج القسوة وسألها: لماذا تأخرت بإحضار
الشاي يا حاجة؟ وضحك.

تأخرت يا حاج، لأنني غسلت الصحون في الدار فقد
وجدت برميل الماء على السطح فارغاً، ولم أشأ مناداتكما
لتملأنه، فقلت أغسل الصحون في الخارج.

هنا قال الحاج: آه لقد تذكرت يا علي فخزان المزرعة
أيضاً لم يبق فيه إلا القليل.

لا يهمكما «فالصباح رياح».

صُبي من فضلك الشاي يا حاجة، فيجب أن ننام باكراً
حتى لا نجهز على علي فهو متعب جداً من (رحلة المياد)
وغداً أمامه رحلة ثانية، عافاه الله.

بعد تناولهم الشاي أخرجت الحاجة الصينية وضعتها
في المطبخ وعادت مسرعة.

أعدت لهما الفرش وقالت تفضلا الى النوم.

ثم أطفأت النور وقالت تصبحان على ألف خير.
دنت من أريكة ولدها علي.

حبيبي يا علي، غفوت سريعا. أصلحت غطاءه مسحت
على رأسه وتوجهت الى فراشها، أراك صباحاً إن شاء
الله.

أتركه يا حاجة لقد نام، تعرفين أنه عندما يسمع
صوتك يستيقظ من عز نومه.
أنا لا أريد إزعاجه ولكني أغطيه.

تلملت الحاجة في فراشها وقبل أن تقول للحاج تصبح
على خير، رآته لا يزال جالسا نصف جلسة في الفراش،
ساندا رأسه الى جانب أريكة علي وقال: لا تنامي أريد أن
أعرف، ماذا أخبرك علي عند قدومه؟

لا تشغل بالك يا حاج. فعلي أقوى من حملة الثقيل
ولكنني فهمت من بعض تمتماته أن شيئا صعبا يثقله، أظنه
هجرة بعض سكان القرية الى بيروت ومشغرة، فعندما
تراقبه وهو يتكلم على هجرة السكان تحسب أن روحه ذهبت
معهم.

لا حول ولا قوة إلا بالله.

نامي يا حاجة وغدا نكمل الحديث، فأنا أريد أن أذهب

غداً بالحليب والجبن الى مشجرة، فكمية الجبن أصبحت لا بأس بها ولا بد لنا من بيعها.

هنا سألت الحاجة: والبيض، هل تأخذه معك؟
لا، فكمية البيض يمكن بيعها في القرية، فليست كثيرة.
تصبحين على ألف خير يا حاجة.
وأنت بخير يا حاج.

عند انبلاج الفجر أعلن الأذان بدء يوم جديد، فاستيقظ الحاج قبل الجميع. ايقظ الحاجة بهدوء قائلاً: صباح الخير، روديكي يا حاجة، على مهلك يا حاجة كي لا يستيقظ علي باكراً فلديه عمل شاق، سأجهز نفسي للصلاة وأريد أن أخرج قبل أن يستقظ.

بعد أدائهما الصلاة، تناول الحاج فطوراً خفيفاً وخرج.
حفظك الله يا حاج ويسر أمورك.
وأغلقت الباب.

يا مفتَح الأبواب افتح لي خير باب. يا الله يا ارحم
الراحمين. ربّ يا كريم يسرّ أموري، سهّل علي ولدي وعلى
الشبان.

وصل الحاج الى مدخل مزرعته. ترحل من العربة وهم
بدخول المزرعة.

أمسك حديدة الباب ووقف، إلام سألني أوصد باب المزرعة

بك. فالباب لا يقوى معك حتى مقاومة دفعة بسيطة من حيوان مهاجم، إيه يا أبو علي الباب قضيته بسيطة، مالك نسيت إحضار العلف وجمع الحليب، أم ضع الجبن.

فتح أبو علي باب المزرعة ودخل إلى المزرعة حيث كان لديه عددٌ لا بأس فيه من طيور الدجاج يستفيد من بيضها. بق... بق... بق...

تحلقت الدجاجات حول الحاج مهدي كتحلّق الأولاد الصغار حول والدهم، وما هي إلا لحظات حتى علا ثغاء النعاج من داخل المزرعة. فوضع لها العلف والماء. في هذه الأثناء استأخر الحاج أبو حسين الحاج مهدي، تبعه إلى مزرعته فساعد. أخذ ما جمعه من منتوج في المزرعة وضعا على العربة وانطلقا به.

إلى مشجرة.....

لم يطل نوم علي. استيقظ، ثم أسرع بالخروج إلى العمل، فلم يجد والده. سأل والدته فأخبرته عن الأمر وقالت له، أنه يريدك أن تمر على نصبات الزيتون وشتلات التبغ. حاضر، يا والدتي، كما يريد. ولكن ألم تستطيعي إقناعه بعدم الذهاب إلى مشجرة، فأقوم بالمهمة عنه.

. أنت تعلم أن كل شيء يمكنني إقناع والدك بالتخلي عنه إلا عمله بالمزرعة والذهاب إليها كل يوم، فإن ذلك

مهمة مقدسة لديه ولا يسمح لأحد بأخذها منه، أتذكر حين كلفك إحضار الماء.

أذكر. ولكن الله يقدرنا على رد جميله.

لا عليك يا ولدي، فهو مسرور بعمله رغم ما يكابده من تعب إياك وأن تقول له لا تذهب الى المزرعة، فهو يحسها وجوده وبقاءه.

ادع له بالتيسير؛ وهو على ما أظن قد سبق واتفق مع الحاج أبو حسين للذهاب معه إلى مشقرة على عربته، فأبو حسين يريد شراء عددٍ من رؤوس الغنم فهو ينوي إنشاء مزرعة صغيرة قرب منزله.

تساءل علي: مزرعة صغيرة؟

الظاهر أنه معجب بعمل والدي، ألم يشرح له أحد حجم التعب جراء العمل في المزارع.

أظنه يعلم كل شيء ولكنك تعلم ما تعنيه المزرعة لوالدك وأن متأكدة من أن والدك هو الذي أقنعه بذلك.

ألا تلاحظ علامات السرور والراحة على وجهه عندما يبدأ بالحديث عما يفعله يومياً في المزرعة من الصباح إلى المساء.

أجل أعلم كل ذلك يا والدتي، الله يلبسه ثوب العافية ويطيل عمره.

. آه يا والدتي لقد أخذنا الحديث وتأخرت عن الموعد .
 خرج علي فوجد الشبان يقتربون من منزله .
 . ما بك يا علي؟ لقد تأخرت كثيراً، ولم نعتد على هذا
 منك هل حصل أي مكروه لا سمح الله؟
 . لا والحمد لله . كنت ووالدتي نتحدث عن خروج والدي
 باكراً الى المزرعة وإصراره على العمل فيها .
 بدأت الرحلة منذ الخطوة الأولى بسؤال علي ماذا
 خطط بالنسبة لإجتماع الشبان .
 قال علي: لقد فكرت بالموضوع ولكنني أحافظ على
 سريته، كما وأرجو منكم ذلك، لأن والدتي بدأت تفتقدني
 كلما تأخرت قليلاً عن مواعيدي .
 كما تريد يا علي . أجاب الشباب .
 ما رأيكم، يا شباب بالحسينية، قرب الجبانة، نقيم فيها
 الصلاة ونعقد الاجتماعات وبعد ترتيبها بشكل جيد يمكننا
 أن ندعو أو نستقدم إماماً للقرية من أي منطقة أو قرية
 مجاورة للصلاة جماعة مرة كل أسبوع .
 . كيف تجدون هذا الاقتراح؟
 الله أكبر .
 أسميناك أبا الأفكار، وأنت هو . قال الشبان .
 أكملوا اليوم طريقهم باندفاع شديد، وكانت أجمل رحلة

ماء. ولكن لم يدر علي أنه هكذا وبهذه الطريقة أثار فضول الشبان ليعودوا ويعرفوا أخباره فليس هناك من شيء ثان يتكلمون عليه بعدما حلوا قضية الاجتماع.

بدأ الشبان يتبادلون الأسئلة والنكات لمعرفة أي شيء عن أسرار علي، ولكن علياً وكالعادة «يا جبل ما يهزك ريح» دائماً يبتسم إبتسامة الراضي الواثق بالله ويصرفهم عن انتظار الإجابة بشكل لا يستطيعون معه أن يحشروه بأي زاوية، ولا يزعجهم بأي حرف.

هو علي..... الذي، ومنذ صغره، كنى نفسه بأبي الحسن. السلام عليك يا أبا الحسن..

إنتهت أجمل رحلة الى عين التينة بسرعة وسهولة، لم يكن الشبان ليتوقعوها ولم يشعروا بها عندما وصلوا بالماء الى ميدون وبدأوا بإدخاله كل واحد الى منزله.

وزع الشبان المياه بسرعة فائقة، ذهب كل واحد الى منزله وهو يقول لصاحبه موعدنا مساءً عند «الحسينية».

وصل علي الى البيت على غير عادته، سلم بسرعة على والديه وأخواته.

بينما دخل ليبدل ثيابه، تنهدت أخته منى وقالت لأختها: الحمد لله يا أميرة أتى علي باكراً ولن ننتظر كثيراً لتقدم لنا والدتنا الطعام.

خرج علي متوضئاً ولكنه لم ينتظر والدته لتضع له العشاء فأكل ما تيسر.

سأله أخواته لم أنت مسرع هكذا يا علي، لا تشغلن بالكن يا عزيزاتي.

في هذه الأثناء أتت والدته، وضعت يدها على كتفه وسأله: ما بك يا علي؟ لم هذه السرعة؟ لم أعهدك هكذا.

أحصل شيء لأحد الشبان في أثناء رحلتكم؟
قال لا.

هل تشاجرت مع أحد في طريقكم، أو عند الماء؟
قال: لا أيضاً.

إذاً، ماذا هنالك؟

شغلت بالي! لم هذه السرعة، وهذه السرية؟

قال: لا شيء، لا شيء، يا والدتي الحنون، لا تشغلي بالك أبداً، عندما أعود سأخبرك بكل شيء وإن شاء الله، أبلغني سلامي إلى والدي عندما ينهي صلاته. قال ذلك، وخرج مسرعاً.

آدم حان الآن موعد أذان المغرب، لا بد وأن والدي كان يصلي أعمالاً كعادته.

هرول علي، على الطريق. وصل إلى الحسينية فوجد الشبان بانتظاره.

. السلام عليكم.

. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

. لماذا تأخرت يا علي؟ سأله حسين.

أجابه، والله لم أقصد التأخير ولكنني عندما أنتهيت وأردت الخروج كانت والدتي تسألني السؤال تلو الآخر، فكنت أفكر بإجابات لا تمنعني بعدها من الخروج، فطاعتها وشعورها لا يمكنني المس بهما.

هذا من المؤكد يا علي، ولكن ماذا قلت لها؟

قلت لها بأني سأخبرها كل شيء عندما أعود الى المنزل.
قدم أحمد ضيفه الجديد الشاب الذي وفد لزيارته من بلدة النبي شيت.

. السيد عادل الموسوي^(١)، يا علي.

. أهلاً وسهلاً به.

. السيد عادل شاب من أصحابي تعرفت اليه في أثناء دورة ثقافية في الحوزة ووعدني بالزيارة، وها هو اليوم يفي بوعدده. أعاد علي ماضي: أهلاً بالسيد عادل. وشكراً لله على قدومه في هذا اليوم لتكون أول خطوة مباركة داخل هذه الحسينية وتبشر بمستقبل واعد.

(١) من شهداء ملحمة ميدون، من بلدة النبي شيت، طالب حوزة دينية لخمس سنوات.

رد السيد عادل: أهلاً وسهلاً بكم، فميّدون مباركة
 بوجودكم، وبارك الله خطاكم.
 وصل الشبان الى المكان المقصود.
 يا الله، لندخل.
 لم يكن باب الحسينية موصداً.
 دخلوا الى الحسينية ذات البناء القديم.
 بينما الشبان يعاينون الحسينية التفت علي وقال: يا
 إخوان، نؤدي صلاة المغرب أولاً، وعدّها نفعل ما نريد.
 قال الشبان بصوت واحد: تقدم يا سيد عادل إماماً.
 تمنع السيد عادل عن امامتهم ولكنهم أصرّوا على ذلك،
 فذكّروهم بأنه مسافر ولا يمكنه أن يؤمهم للصلاة، ولكنهم
 ازدادوا إصراراً قائلين:
 ألسنت السيد بيننا، نصلي متابعة، ألا يصح؟
 كما تأمرون. أجاب السيد عادل.
 هيا لنقم الصلاة.
 الله أكبر، الله أكبر،

 قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة،

 الله أكبر، الله أكبر،

لا إله إلا الله...

أصلي فرض المغرب الواجب قربة الى الله تعالى.

....

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

. تقبل الله طاعتكم، تبادلها الجميع...

وبدأوا بقراءة دعاء الفرج (الهي عظم البلاء وبرح

الخفاء وضائق الأرض ومنعت السماء، وانت المستعان

واليك المشتكى وعليك المعول في الشدة والرخاء).

أنهى الشبان الصلاة والتعقيب عليها وقبل عقد الجلسة

بدأوا يخططون برنامجاً لجلساتهم.

قال علي: قبل كل شيء يا شباب لنرتب وضع الحسينية

وبعدها نعقد الجلسة.

وقف الشبان يتشاورون.

هنا على جهة القبلة نضع زيارة الإمام الحجة عليه السلام وعلى

الحائط الذي على يساره نعلق زيارة وارث^(١) أملك واحدة

مطبوعة على قطعة سجادة، سأحضرها إن شاء الله في

المرة القادمة، قال الحاج حسن.

(١) زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

وههنا سنضع صندوقاً من الخشب أو الكرتون نضع فيه أحذيتنا وأشار بيده نحو عتبة الباب.
قال حسين مستغنياً: صندوقاً؟
لا، أنا سأصنع رفاً من الخشب نضع الأحذية عليه حفاظاً على الترتيب.
وتبرع أحمد بإحضار حصيرة يمدونها على أرض المسجد.

أشار أحد الشبان أنه يجب أن لا نتأخر كي لا ينشغل بال أهلنا، في المرة القادمة وعندما يعلمون مكان وجودنا تكون المسألة أهون عليهم. وافقه الشبان وهموا بالإصراف.

يا الله السلام عليكم وإلى اللقاء.
ذهب كل إلى منزله ليواجه محضر تحقيق مع والديه. ولكن البشرية التي أرضت الأهل وجعلتهم يفضون النظر عن تأخر أولادهم هي وجودهم في الحسينية.
الحاجة أم علي كانت فور تأخير ولدها علي تلوج بنفسها، يا الله أين علي، تأخر علي. لكنها كانت تهدأ نوعاً ما عندما تلتمس الطمأنينة في نظرات الحاج أبو علي فتبرد نارها بشكل واضح.

لم تكن تظن أن زوجها سيعلق كثيراً على قضية جلسة

الحسينية، وتمنت لو أنه تمنى على علي عدم التأخير و
التدخل بهكذا أعمال وما أدهشها هو سؤال الحاج لولده
علي.

إتخذتم الحسينية مسجداً أيضاً أجركم الله ولكن ماذا
أسميتم هذا المسجد؟

بالحقيقة يا والدي اختصرنا الجلسة اليوم وقمنا
ببعض الترتيبات في الحسينية، إن شاء الله في المرة
القادمة سنتدارس بما يمكننا أن نطلق عليها اسم.

الخبر الذي سيفرح قلبك يا والدي هو أن ضيفنا السيد
عادل سيصحب معه في المرة القادمة شباناً جديداً كما
وعدنا.

أشكر الله وأحمده يا علي على نعمة لا تقدر هو أنت.
الحمد لله هذا ما زرعت يا حاج. هكذا أصبح موعد
صلاة المغرب في الحسينية مقدساً لدى الشبان وأعطى
عملهم وسعيهم لوناً جميلاً وأملاً كبيراً.
طَق، طَق، طَق .

عصر اليوم التالي يطرق باب منزل الحاج أبو علي
ماضي في ميدون.

هرولت الحاجة أم علي اللهم اجعله خيراً، ليس من عادة
الحاج وعلي أن يطرقا الباب لأفتح وأرى.

يا الله، سمعت صوتاً من الخارج.
 - من وراء الباب؟
 - نحن رفاق الأخ علي، هل هو موجود؟
 - لا يا أمي، ولكن انتظروا دقائق وسأفتح لكم طريقاً.
 - لا تجهدي نفسك يا حاجة. إذ تكرمت قولي له عندما
 يعود أننا بانتظاره في الحسينية.
 - حاضر. سأخبره ذلك بإذن الله عندما يعود.
 عاد علي ماضي وشبان القرية من رحلة العناء والتعب،
 وكالعادة كان يريد تجهيز نفسه، فأخبرته الحاجة:
 استعجل يا ولدي فإخوانك بانتظارك في الحسينية.
 أكمل علي إنجاز أعماله وانطلق.
 السلام عليكم.
 وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
 أعطاكم الله العافية.
 أهلاً وسهلاً بالزوار الجدد. لماذا لم تخبرنا يا سيد عادل
 بالضيوف الكرام لنقوم بواجبهم؟
 أجاب الأخ حسن (أحد الضيوف الجدد).
 نعلم يا أخ علي أنكم أهل الكرم والضيافة ولكن لا يهكم
 فنحن إخوة.
 عرف الإخوة الجدد بأسمائهم والقرية الأماكن التي

وفدوا منها وكان على رأسهم الأخ حسن العنقوني من مشغرة.

بعد أدائهم صلاة المغرب كالعادة، جلسوا يتناقشون كما اتفقوا لإطلاق اسم على الحسينية.

بدأ الشبان بعرض إقتراحاتهم وأجمع الجميع على اسم يكون عنواناً لروح البقاء والصمود.

وقضوا جميعاً. صلوا على محمد وآل محمد. قائلين: ببركة الإمام محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام)، سنطلق عليها اسم حسينية القائم (عجل الله فرجه).

تعانق الجميع عناقاً عضوياً وقالوا: رينا اجعلنا من انصاره وأعوانه.

قام علي وقدم للشبان شيئاً من العنب كان قد جلبه معه من عريشة أمام دارهم.

أثناء عرض الشبان لمطالب القرية قال الأخ حسن: يا شباب نحن في مشغرة بالجوار وتسمعون المثل يقول: «مين أعلم بأحوالك؟ ريك وجارك».

نعلم ما تتكبدونه من كد وسعي لطلب الرزق وتأمين أدنى سبل العيش، ألا تستحقون أبسط الحقوق الإنسانية كغيركم.

هنا يسأل أحمد: ماذا ترى يا أخ حسن؟ ماذا يمكننا أن نفعل مع الإهمال الذي تقابلنا به الدولة.

يعود حسن ليقول: أنا أرى أنه لا بد لكم من تحرك مطلبى في القرية أن ترسلوا موفداً الى بلدية مشغرة أو سراي زحلة يرفع مطالبكم الى الوزارة المختصة. الوزارة المختصة!! أعادها الشبان بإستغراب وقالوا: كل مطالبنا دخلت آذانهم، ولكن لا حياة لمن تنادي. قال أحمد: أخبره يا علي ماذا أخبرنا والدك بالأمس عن تحرك السبعينات.

تحرك السبعينات!!

يا أخ حسن، أخبرنا والدي أنه في أواخر السبعينات قام أهل القرية بتحرك لرفع مطالبهم كما سبق، وكان من بين المطالب إنشاء مدرسة متوسطة وثانوية، وجرمياد الشفة الى البيوت وإنشاء مركز صحي عصري في المدينة. أجمع الأهالي بوقتها على إرسال عدد من كبار القرية الى مشغرة، لأنه لم يكن هناك مختار فيها.

ذهبوا آنذاك وعادوا «بخفي حنين». لماذا؟...

لأن حجة الدولة آنذاك كانت، أن الميزانية ضعيفة وبالكاد تستطيع إنجاز مشاريع كانت قد بدأت فيها منذ مدة ولم تستطع إنهاءها.

هنا يتدخل السيد عادل ليقول: يا شباب لا تأسوا من روح الله، فلا بد وأن تفرج الأمور، وشبان طيبون مثلكم لا

بد وأن يحققوا كل ما يسعون إليه، ولكن في هذه الأيام هناك ما هو أهم من كل ذلك وأخطر.

لقد أطلنا السهرة، قال علي ماضي.

أريد أن أسألكم سؤالاً تجيبونني عليه بصدق وأمانة وصراحة.

نأتي بالعشاء الى هنا أم نعود الى المنزل؟ فقد أصرت والدتي أن تناول العشاء عندنا فما رأيكم.

حاول الضيوف التملّص من الدعوة ولكنهم لم يفلحوا فهم يريدون البقاء في القرية وليس لديهم خيار آخر.

في اليوم التالي تغير موعد اللقاء، فقد أصبح مرتين، الأول عند صلاة الضجر، والثاني عند صلاة المغرب.

التقى الشبان جميعهم عند فجر يوم جديد في حسينية القائم عليه السلام. بعد أدائهم الصلاة. سأل الضيوف الجدد، ماذا لديكم من أعمال اليوم حتى نساعدكم بإنجازها؟

أعمال؟ لقد قرر أبائنا الخروج الى العمل وأبقوا إحصار الماء من واجباتنا فقط.

سر الشبان، وانطلق كل الى منزله ليجهز نفسه.

قضى الضيوف نهارهم يتدارسون ويخططون امكانية التنسيق والتعاون مع شباب ميدون لخدمة الهدف الذي أتوا من أجله.

قال القائد حسن.

أقترح يا اخوان ان نعرض على شبان القرية الهدف وأنا على يقين بأننا سنلقى تجاوباً كبيراً، ألم تلمسوا في وجوههم روح الإباء والتضحية؟

بعد تلك الجلسة المصغرة مر الضيوف الى منزل الحاج مهدي ماضي والحاج أبو حسن هاشم وقالوا لهما بأنهم بانتظار الشبان على الموعد في حسينية القائم .

ذهب الحاج أبو حسن بعد انطلاق الشبان الى منزل الحاج مهدي أذن له بالدخول بعد سؤاله عن الحاج فدخل. لم يكذ الحاج أبو حسن يجلس حتى بادره الحاج مهدي بالسؤال:

هل مر بك أحد وسأل عن علي يا حاج؟

نعم، لماذا؟

أود سؤالك، ماذا لمست بوجود هؤلاء الشبان، وماذا فهمت

منهم؟

لمست!!؟

لمست ملمحاً غريباً وروحاً لا يمكنني تفسير كنهها، ولكن أطلب من الله أن لا يخيب ظني، أظنهم من أهل الله، ويحملون بشائر خير للقرية.

بشائر المقاومة

(يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا نور المستوحشين
في الظلم، يا عالماً لا يعلم، صلّ على محمد وآل
محمد، وافعل بي ما أنت أهله، ولا تفعل بي ما أنا
أهله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين).

اللهم صلّ على محمد وآل محمد.

توجه الشبان نحو الشرق بقصد زيارة سيد الشهداء،
يتقدمهم السيد عادل.

اللهم تقبل أعمالنا وعمالك (تبادلها الجميع).

تحلق الشبان بشكل عضوي في زاوية الحسينية، إفساحاً
في المجال لقادمين يريدون الصلاة.

وضع القائد أبو يحيى قرص الصلاة من يده في العلبة
المخصصة، استدار نحو الشبان ولكنه لم يجلس.

تقبل الله أعمالكم يا شباب.

منا ومنك يا أبو يحيى. ما رأيكم لو انطلقنا إلى الربوة
التي قررنا الاجتماع عليها أمس.

سألهم أبو يحيى .

رد الشباب بالإيجاب وانطلقوا .

«حسبي ربي جل الله، ما في قلبي غير الله» .

«الهي الهي حتى ظهور المهدي احفظ لنا

الخميني» .

عبارات كان الشبان يرددونها أثناء مسيرهم إلى هدفهم .

وصلوا ... جلسوا على الأرض .

شبان تعلق وجوههم بشائر النصر، وتعكس قسماتها

الإصرار والعناد والإيمان .

طلب الشبان من القائد حسن إدارة الجلسة .

فبدأ .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين

الطاهرين .

قال الله في كتابه الحكيم:

«واعبدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط

الخيال ترهبون به عدو الله وعدوكم» .

يا اخوة يا كرام،

لنبداً،

تعلمون يا شباب مدى خطورة الوضع في لبنان

واستهداف العدو لمنطقتنا وقريتكم بشكل محدد، فهي وان كانت شبه ساقطة عسكريا ولكنها تشكل شوكة في عين الأعداء برغم موقعها بمرمى مدفعية العدو والعملاء. اجل يا أخ حسن، نعلم كل ذلك ونشعر بإمداد غيبي يعين مقاومتنا.

وهل يساوركم أي شك بالإمداد الغيبي؟
ألم تتنزه قريتك عن صنع أي عميل من أبنائها؟
ألم تنظموا مظاهرة تصديتكم بها للعملاء عند مدخل القرية لمنعهم من دخولها، وبذلك لم تجرؤ قوات الاحتلال على الاقتراب من قريتك الصغيرة فتوقفوا على بعد ثلاثة كيلومترات منها.

على كل حال، جئنا لحفظ خط المقاومة ومساندتكم في ارض ميدون عرين الأسود الأبطال منبع الشرف والإباء.

أخبرنا قائد المنطقة كل شيء عن طبيعة القرية، فلا بد لنا من التخطيط لحفر خنادق مخابية للأسلحة الفردية وبعض القاذفات وتصبح هذه التلال منطلقا لعمليات المقاومة النوعية في المنطقة.

أخوتي أجبائي،
توقعوا هجمات اكبر واعنف مما تتعرض له بعض القرى

الأخرى في البقاع والجنوب لأنكم لقنتم العدو درساً لن ينسأ أبداً.

ومن تاريخ اليوم، يا شبان، يا أباة لن تخرجوا لأي جلسة أو دورة تعبئة خارج القرية فسيتشرف الاخوة العلماء والكاادر العسكري بالمجيء لخدمتكم هنا على هذه الأرض الطاهرة.

وأخيرا وليس آخرا يا اخوتي لن أطيل عليكم اكثر لنختم الجلسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

«والعصر، ان الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

صدق الله العلي العظيم

تفرغ الشبان مع من قدم من أفراد التعبئة من كل قرى البقاع، شبان تلتمس في وجوههم النيرة المضيئة ونظراتهم الراضية المطمئنة صفاء الملائكة والصديقين.

بعد صلاة الصبح لم يعد الشبان يجتمعون في المنازل، فكانت الأمهات يحضرن لهم طعام الفطور وطعام الغذاء، فينقلونها إلى الدساكر التي اتخذوها بين البساتين وعلى التلال، قد أصبح للطعام لون آخر ومذاق لا يعرفه إلا الأولياء والصديقون.

ذات ليلة من ليالي كانون، وفي السادس منه، من العام
ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين اجتمع الشبان في حسينية
القائم ❁.

تفقد الشبان من لم يأت بعد.

آه انه علي ماضي.

لم يكادوا يكملون التفقد حتى دخل علي المسجد.

. السلام عليكم يا شباب.

. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لم تأخرت يا علي؟

سأله أحدهم.

أجابه علي: تذكرت أن احضر معي شيئاً من الحطب
للمدعاة لأنني أعلم انه لا يوجد من الحطب ما يكفي إذا
طالت جلستنا، ويرد كانون لا يحتمل.

وضع علي ما في يديه من حطب وجلس.

أين الحلوى يا اخوان؟ سأل علي.

الحلوى؟!!

نعم حلوى الانتصار.

ألا تستحق عملية اقتحام موقعي لوسي والسريرة ذلك.

كيف لا يا علي.

لم ننسَ ذلك، ولكن ما يشغل بالنا صرفنا عن تحضير

الحلوى، فالدو يا علي كما علمنا يقوم بحشد قواته وينوي القيام بشيء ضد القرية.

القرية ٩١١ استغرب حيدر.

لا أظنهم يقومون بأي شيء ولن تتعدى القصف المدفعي ورشقات القناص.

بينما هم يتناقشون بما يمكن ان يحدث.

قال حسن يا شبان، صلوا على محمد وآل محمد، أرجوكم شيئاً من الصمت.

ماذا ٩٩١ تسأل الشبان.

فقال القائد حسن: ما اسمعه أصوات النار أم هو صوت طيران حربي؟

صرخ فجأة صوت طيران، ورشقات رشاشة نحو القرية. يا حسين....

نهض الشبان بسرعة كل واحد إلى سلاحه، ولكن إلى أين؟

فلم تكن ميدون يوماً تشبه الموقع العسكري مع قيام بعض الشبان بحضر خنادق لا يتعدى عمقها وسط الجندي، ولم يكن فيها ملاجئ، مع تعرضها سابقاً لعدة محاولات هجوم من القوات اللحية وقصفها الدائم من التلال المحيطة.

كان عديدهم لا يتعدى نصف فصيل يشمل البديل
والحراسات من أفراد التعبئة.

ازدادت طلقات القنص الموجهة نحو البيوت، ورشقات
المدفعية، فيما الطيران الحربي يخلق بشكل مكثف على
علو منخفض.

تعالى صرخات الشبان.

يا حسين...

يا أبا الفضل...

الله اكبر...

و بدأوا يردون على مصادر النيران بأسلحتهم الخفيفة.
اهتزت القرية، وكان زلزالا قد ضربها، ظن الشباب ان
شمس آب قد طردت برد كانون لتنير بأشعتها المحرقة
المنطقة بأكملها.

صرخ عادل: الله اكبر...

الملاة، الملاة، أصبنا بقاذفات ال(أربي جي) ملاة (م)
(١١٣) ولا أظن ان أحداً قد خرج منها.

في هذه الأثناء وبين هدنة وأخرى من إطلاق النار، كان
أهل القرية يخرجون من بيوتهم للاحتماء بالحسينية ليس
لأنه بناءه محصن ويتسع لهم جميعاً، ولكن لاعتقاد منهم
بأن الإمام الحجة عليه السلام سيحصنهم ويحميهم من الأعداء.

بعد مدة ليست بالقصيرة من تبادل إطلاق النار، علا
غبار وهز القرية هدير الدبابات، ودوي الصواريخ.
يا حسين، يا عادل، يا علي، يا أحمد.... يا غالب، يا
عدنان، يا سهيل.

نادى القائد حسن الشبان بأسمائهم، أجابوا جميعهم إلا
عدنان وملحم...

صرخ حسن صرخة قوية انتابتها غصة خانقة.
عدنان...! ملحم....! لم يجيبا!!
لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد سبقونا، وبكى.
لم يبك لفقدهم بل لعروجهم إلى معشوقهم قبله.
اللهم ارزقنا توفيق الشهادة في سبيلك بحق الحسين
الشهيد.

حافظ القائد حسن على رياطة جأشه كي لا تفترهمة
الشباب. فالعدو لم يوقف هجومه. بعد ساعات من تبادل
إطلاق النار والقتال، ثلة من المؤمنين الشرفاء بأسلحتهم
الفردية الخفيفة يقاومون جيشا من أقوى الجيوش.
توقفت الدبابات عن التقدم نحو القرية، واقتصر إطلاق
النار على رشقات القنص نحو البيوت التي كان اليهود
يقدرون أنها مراكز مشبوهة داخل القرية، من تلال الجبور
وابو راشد.

انسحبت الدبابات، غادر الطيران الحربي الأجواء، توقف القنص.

نادى القائد حسن الشبان، تجمعوا، زفّ إليهم استشهاد الشهيدان عدنان وملحم وسهيل ياسين.

لم يترك حسن للمقاومين مجالاً للوقوف على استشهاد عدنان وملحم، وأمرهم بالاتجاه نحو المغسل.

كان بعض من أهل القرية مجتمعين في الحسينية.

الأباء والأمهات يتدارسون الموقف.

الأمهات لا يعرفن الهدوء، فأمر أحمد تبكي وتصرخ، وأمر حسن لا تنطق إلا بـ: «يا رب احرس الشباب».

أم حسين مسكت ركبتيها بأصابعها العشرة وهي تردد:

«وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى».

عند سماعها لأي طلق، يا رب انزل ضرباتك عليهم قبل

أن تقع ضرباتهم على الشبان، رد كيدهم إلى نحورهم.

أما الحاجة أم خليل فكانت تقول: يا جماعة اولادنا

يقاتلون دفاعاً عن قريتهم، ولكن ما ذنب من قدم من القرى

الأخرى؟ كيف يقاتلون، وهم لا يعرفون شيئاً عن طبيعة

القرية؟

يا رب ردهم سالمين إلى أمهاتهم.

الحاجة أم علي لم تكن تستطيع الوقوف فقعدت تدعو

للشبان تارة، وتارة أخرى ترفع يديها نحو السماء ودموعها تنحدر على خديها وهي تقول:

«ياراد يوسف إلى يعقوب، رد علي وحيدي علي، يا رب أنت اعلم بحالي».

أم علي تلوج بنفسها ويناتها على صغر سنهن يقمن بالتخفيف عنها ولكن دون جدوى.

في هذه الأثناء وبينما نقل الشبان أجساد الشهداء إلى المغسل وجلسوا يتدارسون الموقف فإذا بجيش العدو كعادته يدهم القرية من جديد ظناً منه بأن المقاومين قد أمنوا وظنوا ان الهجوم توقف فيفاجؤهم بالهجوم الأعنف ويسيطرون على القرية.

داهم هدير دبابات العدو مسامع الشبان وكانوا قد انهوا تشكيل قوتهم، انقسموا إلى قوة تصد وأخرى كمنت لقوات الاحتلال في خراج القرية.

خرج الشباب من جديد لينتشروا بدعم وتسديد الهي، وما هي إلا لحظات حتى صرخ القائد حسن «يا أبا عبد الله، تقدموا...».

رابط الشبان للتصدي، اختلطت أصوات الهدير عليهم وتحذرت إليهم من غير جهة.

كيف سيتصدون؟ وإلى أين يوجهون ضرباتهم؟

ألى الطائرات الآتى هديرها من السماء، أم إلى الدبابات
التي يمزق هديرها الأرض؟
الله أكبر: ... صرخ عماد!
يا جميل ابتعد، مدفعنا أصيب.
رد جميل، تراجع يا عماد.
تراجع عماد زحفا إلى الخلف ليجد جميل ينزف،
استلقى بجانبه.
السلام عليك يا أبا عبد الله.
ناداهما حسان: ما بالكما يا جميل ويا عماد، لماذا
تأخرتم بالتراجع؟
أجاب جميل بصوت متقطع: لقد جرحنا يا حسان،
اسحبونا قبل ان يتقدموا فيأسرونا.
كانت الأرض تلتهب والنار تضيء سماء كانون المظلمة
الحالكة.
لحظات من التساؤل كيف ستكون نهاية المعركة، ولمن
الظفر؟ قام الشبان يتفقد أحدهم الآخر فمعظمهم موجود
إلا من كمن لقوات الاحتلال.
في هذه الأثناء تقدمت فرقة كومندوس نحو القرية
ولكن لم تكن تعلم بالمصير الذي كان ينتظرها وما سيلاقيه
أفرادها.

لاحظ شبان الكمين تقدم الفرقة فلم يحركوا ساكناً وانتظروا قليلاً ثم أمطروهم بحمم قذائفهم فكتب الله للكمين النجاح وأسفر عن مقتل ضابطين صهيونيين ومسؤول ثكنة العيشية اللحدية، وذلك بعد أن دمر العدو القرية بشكل شبه كامل، لم يبق إلا المسجد الذي لجأ إليه الأهالي ولاذوا بحمي الامام الحجة، ومزرعة واحدة وبيوت شبه مدمرة.

بعد هدوء الأصوات، فتح الحاج نافذة الحسينية، أنصت قليلاً ثم قال: الظاهر يا جماعة توقف إطلاق النار ولا اسمع صوت طيران في السماء ولا هدير دبابات على الأرض.

ولكن يا رب عفوك. وصمت الحاج.

اغلق النافذة وجلس على الأرض.

نهض الجميع.

ما بك يا حاج؟ ماذا أصابك؟

لا شيء، ولكن..... رفع الحاج كوفية كان يضعها حول

رقبته امسك رأسه بكلتي يديه وصمت....

صرخت النسوة، حاج أبو علي! حاج أبو علي! ماذا

أصابك؟

وأصبحن كخليّة نحل ناشطة.

تقدم الحاج أبو احمد، امسك برأس الحاج أبو علي

حضنه إلى صدره وقال : أنت (أبو علي) وستبقى كما عهدناك الشجاع وأبو البطل.

هنا حرر الحاج رأسه من يديه وقال:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبي الله ونعم الوكيل.

يا رب، القرية وكل ما نملك هدى الشباب، يا رب ردهم سالمين غانمين.

افتحوا الباب، واخرجوا لتروا ما رأيته!....

خرج النسوة بسرعة من المسجد وعلا الصراخ والعويل.

يا الله يا جبار.

هذه تقول أين منزلنا؟ وتلك تقول أين المزرعة؟

أما أم علي فقد صرخت صرخة أذهلت الجميع ودوت في الأرجاء.

علي... أين وحيدتي علي؟... رد علي يا علي.

وارتمت أرضاً.

تحلقت النسوة حولها وبناتها بجانبها يبكين.

صادفت لحظة صرختها اقتراب علي وبعض رفاقه من الحسينية لتفقد الأهالي.

فتحت الحاجة أم علي عينيها لترى علياً عند رأسها

يمسح دموعها ويقول : قومي يا حاجة زغردي، فقد تصدنا

خرج الجميع بخطى متناقلة وعيون دامعة، ولكن ثقتهم بالله كبيرة وأملهم بالعودة مرفوعي الرأس.

سار أهل القرية، وجوههم تأخذهم إلى الإمام، ولكن قلوبهم لا تزال في القرية، تحسب كل شخص قد شطر قسمان، قسمٌ يمشي به وآخر يسحبه إلى الخلف، فلمن تكون الغلبة للهجرة أم للعودة؟

وصل أهل القرية إلى المدخل الرئيسي فوجدوا الشباب قد جهزوا لهم سيارات بك أب قدموا بها من بلدة سحمر، وانطلقو بهم إلى حيث يريدون.

وصل كل إلى المكان الذي يقصده، وبقي الحاج مهدي وزوجته وبناتهما.

وصلوا إلى بلدة مشغرة فقال الحاج للسائق، هل تعرف منزل المختار؟

قال السائق: ومن لا يعرفه؟

قال الحاج: المختار يكون عديلي ونحن نقصده.

قال السائق: حاضر يا حاج سأوصلكما إلى هناك.

وصلوا إلى منزل المختار، نزل الحاج والحاجة والبنات من السيارة وكل يحدق في وجه الآخر وكأنه يقول، ماذا سنقول لهم؟

في هذه الأثناء عاد السائق إلى حيث أتى.

نفضت الحاجة ما علق بها من غبار حتى لا تستغرب
أختها.

طرق الحاج أبو علي الباب، فخرج المختار مسرعا " ليفتح
كمن على علم بقدوم الحاج وعائلته.

فتح المختار الباب ولم يكذ يري الحاج وعائلته حتى
صرخ صرخة لم يستطيعوا معها إلقاء السلام.

الحمد لله على السلامة، الشكر لله، قال المختار ذلك
ونادى، حاجة خديجة حاجة خديجة، الحاج مهدي وعائلته
قدموا من ميدون.

المختار ينادي الحاجة خديجة، والحاج مهدي وعائلته
مسمرين أمام الباب.

جاءت الحاجة مهرولة من الداخل وهي لا تزال تصلح
غطاء رأسها.

يا حبيبتي يا أختي يا عيوني يا خالتي، الحمد لله على
السلامة.

غمرت الحاجة خديجة أختها وبكت عاليا " وهي تارة
تضم أختها إلى صدرها وتارة أخرى تبعتها قليلا لتتنظر
في وجهها.

أبعدتها بسرعة عن صدرها وصرخت، انتم خرجتم سالمين
والحمد لله، ولكن أين علي، وارتمت أرضا مغميا عليها.

تقدمت الحاجة أم علي؛ أنهضت أختها عن الأرض
أدخلتها والمختار إلى المنزل، وبقيت الحاجة عدة دقائق
تفتح عينها تهز أختها التي جلست بجانبها وهي تقول لها:
أين تركت عليا؟ هل حصل مكروه له؟

بكت الحاجة أم علي وقالت لها: علي بألف خير والحمد
لله، ولكنه بقي في القرية مع الشباب ولم يرض الخروج.
نهضت الحاجة عندما علمت بسلامة علي وقالت
للمختار: يا حاج ادخل من فضلك وأطلب بالهاتف زينب
ابنة الحاج مهدي من بيروت وهنئها بسلامة أهلها وأخبرها
بأنهم عندنا سالمون، وعلي بألف خير.

أمضى الحجاج الليل صلاة وأحاديث عما حصل في
ميدون.

انبلج الفجر وانزاح مع زوال آخر خيوط العتمة
الكابوس الثقيل الذي جثم كل الليل على صدر زينب.
نهضت من فراشها جهزت نفسها، صلت، وانتظرت زوجها
على أحر من الجمر تلوج بنفسها وتقول: يا رب يسر، يا رب
سهل، يا قادر يا كريم.
أسرع يا خليل.

انطلق خليل وزوجته زينب مع شروق الشمس من بيروت
بعد أن أوصوا جارتهم بالأولاد الذين لا يزالون نائمين.

أثناء المسير كانت زينب تقول دائما «أسرع أرجوك» ثم تسكت لتقول «أسرع يا خليل» حتى إذا نظرت إليها حسبتها هي التي تقود السيارة.

وصل خليل إلى مفرق شتورة، يريد أن يسلك المنعطف نحو البقاع الغربي، فاختلط على زينب لشدة وهلتها منعطف مشجرة وزحلة وبعليك.

فقالت: يا خليل نريد الذهاب إلى مشجرة، لا إلى بعليك ولا إلى زحلة.

صليّ عالنبى، واستهدي بالله، هذا طريق البقاع الغربي. دخلا إلى مشجرة، كان منزل المختار في واجهة المدينة، وصلا، ولم يكن لقاء البنات بأهلها ليختلف عن لقاء الأخوات، سوى بمعرفة زينب بسلامة أخيها علي.

قضى خليل صهر الحاج مهدي وزوجته المدة المتبقية من ذلك اليوم يقنعون الحاج بالذهاب معهم إلى بيروت، فلم يفلحوا، فالحجاج يريدون العودة إلى ميدون. حتى منى وأميرة لم ترضيا بالذهاب مع أختهن زينب.

قال الحاج مهدي: أننا عائدون غداً إلى ميدون، لن أموت إلا هناك بإذن تعالى.

وقالت الحاجة أم علي: لن اذهب بعيدا عن علي، عندها دمعت عيني زينب فقبلت والدتها وقالت: وأنا ألت ابنتك؟

قالت: بلى، ولكن لن اتركه وارحل، لن اترك والدك يعود بمفرده.

والى أين ستعودون؟

سنعود؟

أنا متأكدة بأن علي والشبان سيزيلون مظاهر الدمار ويتكشف ما بقي من القرية.

عادت زينب مع زوجها خليل خائبة إلى بيروت، فعقلها وقلبها عند أهلها، ولكن ما أقنعها هو رغبة والديها بالبقاء مع أخيها علي في القرية.

ودّع خليل وزينب الأهل وانطلقا نحو بيروت.

عاد من ترك ميدون إليها بعد من مشغرة.

وبدأت بعد ذلك حقبة جديدة في القرية التي بقيت شبه خالية إلى أن تحررت معظم الأراضي اللبنانية المحتلة في ٢٤ أيار ٢٠٠٠.

ميدون تلملم أطرافها

بعد ستة أيام من خروج أهل ميدون من قريتهم، وفي دار مختار مشجرة، كما كان في غيرد من دور القرى المجاورة، شدّ أهل ميدون الرحال للانطلاق برحلة العودة.

المختار يحاول إقناع عديله بعدم الذهاب إلى ميدون فلم يفلح.

الحاجة أم علي جالسة وبجانبها بناتها ينتظرن الانطلاق.

شباب المقاومة يحاولون رفع الأنقاض في القرية وبدأوا بحي القلعة.

قبل البدء بورشة العمل وقضوا يعاينون هذا المنزل دمر نصفه، هذا دمر كلياً، هذا لم يبق منه إلا غرفة المطبخ، أما الحسينية فقد سلمت بشكل كامل، وسلم أيضاً مزرعتين وعدد من الماشية، وقف أحد الشبان وقال: انظروا، أترون ما أرى.

ماذا ترى: سأله رفاقه.

قال: آه لو يدري الصاروخ الذي أصاب منزل الحاج أبو

حسين ما أحدثه لتمنى لو انه لم يكن صاروخا، فبقدرته قادر
لم ينفجر، ولكن الجدار انهار كما هو، فبدا وكأنه كهل يركز
نظرة سخرية على من يحتقر جبينه ودنائه، ولسان حال
الجدار يقول، لقد حضنت الصاروخ واحتفظت به ليزرعه
الشبان عبوة في طريقكم يا غزاة.
راقبوا أحبائي.

ألا تتصورون ما يمكن ان يخاطب ما يمكن ان يخاطب به
منزل الحاج أبو أحمد لجاره منزل الحاج أبو حسين، بعد ان
أطلقت طائرة كوبرا صاروخا مدمرا عليه فاخفت معالمه
فقد بدا وكأنه مسافر شد رحاله بالرحيل، شد الرحال ولكن
لبدء مشوار المقاومة الطويل.

صادف وصول أهل القرية عند بدء الشبان بلملمة
منزل الحاج مهدي فقد سلم معظمه وسلمت العريشة
أمامه.

وصل أهل القرية إلى ميدون، وبكل ثبات وطمأنينة.
وبينما كانوا يتفقدون منازلهم تنأى إلى أسماعهم
صوت الحاج مهدي صرخ، الله أكبر، يا جماعة انظروا....!!
راية الله أكبر الصفراء أعلى المئذنة سلمت!! أخالني أسمع
قهقهات ترسلها في الأرجاء تهزاً من جبروت رابين وموفاز.
الله أكبر، الموت لإسرائيل. صرخ الجميع.

وهناك حطوا رحالهم، وكانت المحطة الأولى في رحلة العودة الحسينية القائم عليه السلام.

التقى الرجال بعد إقامة الصلاة بشبان المقاومة في الحسينية، أبو خليل يسأل أبو علي، عندما تركنا القرية لم يكن فيها إلا أولادنا وعدد محدود من أفراد التعبئة، ألا تلاحظون زيادة عددهم اليوم؟
نعم.

ما الأمر برأيك؟

دعهم ينتهون من قراءة الدعاء وثم نستعلم الأمر.
تقبل الله أعمالكم يا شباب، لماذا لم تأتوا قبل هذه الأيام فنقوم بواجبكم، إنكم تستحقون كل خير.

لا تقلقوا يا حجاج فقد قمتم بالواجب وأكثر.

قمنا بالواجب، كيف؟

هنا يقول أحد الشباب:

هل أعدد لكم الأطعمة والفاكهة التي وصلتنا من خير الله وجنى أيديكم؟

كيف يا أولادي وأين؟

يخبركم الشبان في الوقت المناسب ان شاء الله.

كان النساء أول من خرج من الحسينية، لم تكد تخرج اثنتان من النساء حتى عدن مسرعات ليخبرن الرجال انه

يوجد في الخارج صوت هدير قوي لم نقدر تحديد مصدره،
تأهب الرجال وخرجوا مسرعين نحو ساحة القرية، تقدم
الحجاج ليستكشفوا حقيقة الصوت، فلم يسمحوا لاحد
من الشبان بالتقدم نحو مدخل القرية حفاظا على
سلامتهم.

عاد الحجاج نحو الجمع بخطى متسارعة وقالوا عند
وصولهم " صلوا على محمد وآل محمد.

. ماذا وجدتم.

. الحمد لله ليست الشاحنة لليهود.

. ما هذه الشاحنة إذن؟

. على ما يبدو انها لمؤسسة الشهيد كما كتب عليها.

. مؤسسة الشهيد؟ يتساءل الجميع.

. عندها تقدم أحد الشبان وقال: نعم يا أهلي الأعزاء،

صحيح ما قرأ، انها تابعة لمؤسسة الشهيد (شهيد الثورة

الإسلامية) التابعة لجمهورية إيران الإسلامية، وهي مؤسسة

تعنى بعوائل شهداء الثورة الإسلامية ومنكوبي الحرب.

وصلت الشاحنة وأهالي القرية مستغربون، ما هذا

الاهتمام السريع؟

ترجل السائق ومن معه من شبان القوا التحية والسلام

على جموع الأهالي.

هل هناك مسجد قريب في هذه المحلة؟ سأل أحدهم.

أجاب الشبان، وكيف لا؟

أسألكم لأننا كنا في الطريق من دمشق عند رفع أذان الظهر، ولم نصل بعد.

أهلاً وسهلاً، قالها الجميع.

خرج ضيوف الجمهورية الإسلامية من الحسينية ليجدوا أهل القرية قد فرشوا مائدة عامرة لهم.

لم يرض أهل ميدون إلا أن يتناول الضيوف الكرام الطعام.

أما الفاكهة فكانت عنباً من عريشة الحاج مهدي، فقد انسحب الحاج واحضر بعض العناقيد، قدمها لهم وقال: ذوقوا حلاوة صمودنا فهذه العريشة الصامدة عزيزة على قلب أهل القرية جميعاً.

بعد تقديم المساعدات، شكر أهل القرية أفراد الحرس الثوري وقالوا لهم: ابلغوا الإمام الخميني العظيم سلامنا، واعلموه أننا صامدون، صامدون، صامدون ما دام فينا قطرة دم حسينية.

بعد الهجوم الأول على القرية وعودة الأهالي، تغير طعم الحياة في ميدون، فأصبحت مياه عين ميدون تكفيهم لأن الأراضي المزروعة قليلة، وبهذه الطريقة لم يعد هناك

رحلات ماء إلى عيون خارج القرية، وأصر الشبان أننا بعد اليوم لن نأتي بقطرة ماء من خارج القرية، من عين ميدون سيشرب الجميع وسنقسم الكمية على ما تبقى من المزارع. تنهّد علي بشكل عضوي وقال: إيه، الحمد لله، من اليوم فصاعداً لم يعد هناك رحلات تحقيق وتفتيش عن أخبار في الزوايا، هكذا أصبحت الرحلة قصيرة.

لا تفرح كثيراً يا علي، أجابه أحمد.

كيف لا أفرح؟ أجابه علي.

لأنك منذ اليوم ستعرض لجلسات تحقيق مطولة.

كيف؟ لم أفهم.

لم تفهم، الست من يفهم بالإشارة؟

صدق، أنني لم أركز فيما تقول.

لا أريد أن أطيل عليك، ولكن لا تنس جمع التبغ، وجمع

الزيتون وجلسات العريشة.

اجل، اجل فهمت.

نسيت أنه لم يبق إلا قطع أرض صغيرة ومحدودة بعد الهجوم وسنزرعها مشتركة، ولكن هذا يفرحني جداً لأننا أصبحنا جميعاً نجتمع الماء في خزان واحد نشرب منه جميعاً، ونزرع قطعة أرض فئاكل منها جميعاً ونأكل من عريشة واحدة وبستان زيتون واحد.

عادت رحلات المياد وجمع أوراق التبغ والعمل في المزارع، ولكن تغيرت الأمكنة، تغيرت الاحاديث، وتبدل الساعون.

ماذا أصبح شغل الشبان الشاغل؟

عشق أهل القرية طريقة عيشهم الجديدة، وعشقوا شتلة التبغ، وشجرة الزيتون، وكانت عريشة الحاج مهدي مكان الراحة الذي اتسع سعة قلب صاحبها لجلوس معظم من وفد من أهل القرية.

ذات يوم، وبينما كانت النساء جالسات تحت العريشة، سألت الحاجة أم خليل: هل يغيب أولادكن كثيراً كما يغيب خليل؟

ردت الحاجة أم احمد.

. يغيبون؟!

. قولي، هل يأتون الى المنازل؟

هنا تدخلت الحاجة أم علي لتقول: كنت أتردد بطرح هذا السؤال، فقد استنطقت علياً بالأمس وسألته، وبالكاد علمت انهم يذهبون سوياً، ولكنه لم يرض ان يقول لي الى أين.

فكلما كنت ألح عليه بالسؤال كان يقول لي:

«لا تخافي يا حاجة، ادع لنا بالتيسير، واطلبي من الله ان يحقق لنا مرادنا».

كلما طلب مني ذلك يشعل في قلبي نارا لا افهمها،
ولكنني كنت ادعو الله لأنه كان يقسم عليّ بأبي عبد الله
الحسين عليه السلام.

سرد يؤرّقني اشعر انه يخفي شيئا.

أمضى أهل القرية بعد الهجوم الأول على قريتهم ما
يقارب السنتين والنصف على هذه الحال، الأهالي منهمكون
بالأعمال، الشبان أصبحت مساعدتهم بالأرض اقل، فهم
يخرجون ويعودون من القرية واليهما، ولكن مع تحفظ
شديد في تحركاتهم، وعند سؤالهم، الإجابة لديهم واحدة:
ادعوا لنا بالتوفيق.

دعوة إلى مائدة القائه

وصل علي حسين شمس إلى ميدون يحمل دعوة كان أول من قرأها في عالم الرؤيا.

كانت الحسينية القائم في حركة غليان غربية في أوائل شهر أيار للعام ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين، كانت الاجتماعات في أوج عزها، فقد ازداد عددهم وتطورت همومهم مع غموض الحالة السياسية وتركيز العدو نشاطاته في مناطق الجنوب التي أبقى على احتلالها.

بعد تأدية الصلاة، وبمجرد أن أنهى السيد عادل الجملة الأخيرة من دعاء الفرج، قال: «يا أخوة توجهوا بقلوب صادقة، وقرأ: اللهم ارزقني توفيق الشهادة في سبيلك».

فكان من يراهم في تلك اللحظات يحسبهم قد استشهدوا جميعاً من شدة البكاء.

(اللهم صل على محمد وآل محمد).

يا شباب أجركم الله.

وتبدأ المناقشة.

يبدأ بالكلام صقر ميدون القائد حسن العنقوني.

يا اخوة بحسب الإخباريات فان العدو يقوم بمناورات هجومية على مختلف المحاور، ويركّز بشكل واضح على منطقة الشرقي وحاصبيا، واستطاعت التمرکز بمناطق قريبة تكشف فيها المنطقة، واستنادا لتلك الإخباريات فان العدو يخطط لهجوم على القرية لرد اعتباره واحتلالها.

هنا يتدخل علي ماضي ليقول:

ولكن يا حاج حسن لماذا تأخرت هذه المعلومات حتى

اليوم؟

كيف نحضر؟ كيف نطلب مساعدة من شباب المناطق

الأخرى؟

أقله ندرس خطة للتصدي والرد، فأنت تعلم ما يتكبده الشبان من مصاعب للوصول بأسلحتهم الفردية الخفيفة إلى القرية.

هنا هتف بهم الحاج حسن قائلاً:

لا تسمحوا للخوف بأن يسيطر على قلوبكم، فقد جاءني ان مقرات التعبئة من الهرمل إلى بعلبك إلى مشغرة مروا بكل القرى البقاعية تغلي بحركة غير طبيعية.

الشبان مجتمعون في حسينية القائم ❁ في ميدون، وفي هذه الأثناء في مقر قرية شعت أفراد التعبئة ينتظرون للانطلاق إلى ميدون. قد ذهب علي لوداع أهله.

الحاجة أم علي على سطح المنزل تطحن الكشك لمونة الشتاء، فجأة تنأى إلى سمعها صوت دراجة علي النارية، فقالت: الحمد لله لقد عاد علي. الظاهر أنه مأذون اليوم، اظننا سنفطر سويا الليلة.

نفضت وادية الكشك^(١) عن حضنها وقامت مسرعة. شعور غريب أشعل قلبها، أول مرة تشعر به عند عودة علي. انحنت على حافة السطح لترى علي، ولكن علياً كان قد وصل إلى السطح، وضع يده على كتفها، وقال: السلام عليك يا والدتي.

. أعطاك الله العافية.

. عافاك الله يا ولدي.

. لم أنت مسرع لهذه الدرجة؟

. أتيت لوداعك يا أمي، الشبان بانتظاري.

. وداعي، عانقته وبكت، إلى أين؟

. الست صائما؟

. قال لها: بلى، أني صائم إن شاء الله، ولكن لن أفطر

هنا.

. لن تفطر هنا!! أين ستفطر إذن؟

(١) الواديه: قطعته من القماش كبيره، سميكة تشبه الحرام تفرك عليها النساء في البقاع الكشك وتنشف البرغل.

. على مائدة الإمام الحجة!

قالها بصوت خافت فلم تفهم الحاجة ما سمعت.

سألته: ماذا قلت يا علي؟

. لم اقل شيئا، لكن سامحيني يا أمي، أنا ذاهب وكلني أمل

أنني لن أعود، ابلغني والدي سلامي، واطلبي لي منه
المسامحة.

. ماذا!!!؟ صرحت الحاجة.

. لا تبكي يا أمي، لا تحرقني قلبي بدموعك، فإسلامي

وارضي يناديانني ومسح دموعها.

. عاد ليقول الظاهر يا أمي إنني ذاهب ولن ارجع،

سامحيني فالإمام الحجة بانتظارنا لإقامة الصلاة في
ميدون.

. سامحيني، قبل يدها، ضمها، وهم بالرحيل.

. قبل ان ينطلق أجلسته وقالت: أقسمت عليك بأمر

المؤمنين، ما قصة صلاة الجماعة؟

أراد ان يمشي، فقالت له: عد، أرجوك يا ولدي.

لا يا والدتي فالأخوان في المقر ينتظرون.

أنا والدتك يا علي!... عد.

عاد علي وجلس بجانبها على الدرج وقال لها: قصة

صلاة الجماعة!!

ان شاء الله ستعرفين بها لاحقاً... وهم بالقيام، عادت وأجلسته.

. علي إيصال الدعوة لا تؤخريني.
عندها أمسكت بركبتيه وناشدته بإخبارها.
فقال، يا والدتي:

«أبصرت في هذه الليلة في عالم الرؤية، إننا كنا أنا والشباب على أرض ميدون نصلي جماعة بإمامة الإمام الحجة عليه السلام، وبعد الانتهاء من الصلاة جمعنا الإمام عليه السلام، أنا وسبعة عشر شاباً مسح على رؤوسنا، فسررت وقلت إن شاء الله شهيد».

بكت الوالدة وأرادت منعه من الذهاب، ولكن إيمانها كان أقوى فودعته وقالت: علي أمير المؤمنين عليه السلام يسهل عليك، ويكون معك.

تريد مواساة الحسن والحسين عليهما السلام يا علي بليلة القدر.
الله معك يا علي... وبكت.
وانطلق....

لم تقم الحاجة لتشيعه إلى مدخل المنزل بل هوت على مكان جلوسه، قبلته، مسحت خدها به وبكت...
في هذه الأثناء كان شباب التعبئة، قد حشدوا في مقر

بعلبك عدداً من الشباب ليلتحقوا بمن احتشد من أفراد التعبئة على مدخل بلدة النبي شيت، وكان تعدادهم ثمانية وثلاثين عنصراً، وقاد هذه المجموعة التي توزعت على سبع سيارات مدنية خاصة يقودها مسؤول التعبئة.

كانت المحطة الأخيرة قبل ميدون في مدينة مشغرة، وفي مسجدتها حيث أقاموا صلاة الجماعة وقرأ أحد الشباب دعاء التوسل بالأئمة الأطهار عليهم السلام...

قام بعدها السيد عادل بتناول بعض الأحاديث التي تزيد من التعبئة الروحية لدى الشباب، فكانت سهرة ليست لها مثيل، إذ كان علي العنقوني عنصر الترفيه، صاحب النكتة الحاضرة.

يختم السيد عادل الجلسة.

محمد يقول: أنا يا سيد مالك ويا سيد جميل يمكنني اصطحاب سبعة شبان معي إلى المنزل.

توزع الشباب على منازل شباب مشغرة.

لم يمض الكثير من الوقت حتى صدر امر بالتجمع للإنطلاق إلى ميدون، وما ان قاربت الساعة الحادية عشر والنصف ليلاً، حتى قال قائد المجموعة: يا شباب القائد حسن يقول إننا بحاجة لتبديل مجموعة الجبور، ويجب ان تبقى مجموعة هنا، وبدأ بقراءة الأسماء.

عندها أصر كل واحد من الشبان على الذهاب إلى المحور من دون استثناء.

دخل الشبان إلى ميدون، وجدوا مسؤول المحور أبو يحيى حسن العنقوني - صقر ميدون - بانتظارهم، وعندما طالبوا بالذخائر قال: أنا لا أعلم شيئاً، وليس عندي شيء مما تطلبون.

قالوا له: ما العمل إذن؟ أرشدنا إلى غرفة نرتاح فيها قليلاً حتى الصباح لكي نذهب إلى الجبور، كانت ليلة لم ينم فيها أحد من الشبان، فقد أحيوها بقراءة الأدعية والصلوات، إذ أنها كانت ليلة القدر الأولى.

القائد حسن يروي... (كريلاء ميدون على أرض فلسطين)

لم يستشهد ولكن...

نجا صقر^(١) ميدون كما كان يسميه الشباب، قائد ملحمة ميدون البطولية، لم يرزق الشهادة لأن إصابته أوقعته في الأسر. كانت إصابة الحاج حسن برجله، ولكنه فقد وعيه فأسره اليهود.

السلام عليك يا علي الأكبر.

وكانت المحطة الأخيرة للقائد حسن في سجن نضحا الصحراوي في فلسطين المحتلة.
الحاج حسن...

كما كان قائدا للملحمة في ميدون، كان محركا للجلسات التي كانت تقام في زنانات العدو، فقد أحبه السجناء الفلسطينيون وأحبهم، عشقوا حديثه كعشقهم للمقاومة والانتفاضة.

(١) الحاج حسن العنقوني أبو بحيا، الأسير المحرر بتاريخ ٢٩/١/٢٠٠٤ بعملية تبادل بين حزب الله والعدو الصهيوني بوساطة المانية.

صادفت ليلة عيد الشكر اليهودي وحراس الزنزانة التي كان القائد حسن نزيلها مع اخوانه الفلسطينيين قبل نقله إلى الافرادى، أهملوا الحراسة إلى حد ما بسبب انشغالهم بالاحتفالات.

اغتنم السجناء الفلسطينيون الفرصة لمعرفة ما انتظروا معرفته وكانوا يتوقون إليه منذ مدة طويلة.

وكيف أسر هذا البطل!!؟

سأله أحدهم: ألا تريد ان نخبرنا ما وعدتنا به يا أخ حسن؟ نحن على أحر من الجمر.

أجاب حسن، نعم، أنا في خدمتكم يا إخوان، ولكن ادعوا الله ليعمي أبصارهم عنا لأن الحديث طويل.

نأمل ذلك من الله، ونحن مستعدون لسماعك حتى صلاة الضجر. هيا ابدأ.

. سأخبركم ببعض من القصة، لأن تلك الملحمة استمرت أكثر من اثنتي عشر ساعة.

. كما تريد يا حاج حسن.

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك من عام ١٤٠٩/ هجرية الواقع فيه الرابع من أيار من لعام ١٩٨٨/، وبعد أدائنا صلاة الضجر في مكان المراقبة تحسبا لعملية

معادية، قلت للشباب أعيدوا وضوئكم كي لا نحمل غالونات
مياه إلى الجبور، ولم كد اكمل الحديث حتى رأيتهم،
فصرخت بالشبان:

«إجو، إجو، صاروا هون».

«اليهود صاروا هون».

رد عليّ أحدهم مماًزحاً، يعني هون الآن، على الباب برا؟
بطلع بسلم عليهم؟!

عندها صرخت وصلوا إلى المرفسية^(١)...

فقال الشاب: أنا لست من المنطقة.

عندها قلت له: امش ورائي.

انطلقنا جميعاً إلى المعركة، إلا شاب واحد لم نسمح له
بالخروج إلى الخطوط الأمامية لأنه كان وحيداً لأهله،
فأبقيناه على حراسة مخزن الأسلحة وأغراضنا.
كانت المرفسية على مسافة أربعماية متر منا.

قلت للشبان، سأذهب وأعرف عن كتب ما يجري، والله
يحضيني بشي ضابط جيبوا معي... توزع الشباب، منهم
من بقي في خندق حفرة، ومنهم من توجه معي إلى مكان
العدو لمباغتته.

(١) المرفسية: قطعة أرض لون تربتها افتح مما حولها.

تابعنا المسير بين مشي (البطلة^(١) والمنحني) باتجاه تلة مرتفعة جانبية حتى نستطيع الرؤية بشكل جيد والسيطرة بالنار، ولكن حصل ما لم نكن نتوقعه فقد كان العدو يتقدم بشكل التضايفي فوجدنا انفسنا أمام فصيل مؤلف من ثلاثين جندي يقومون بالتسلل باتجاه خزانات ميدون الجنوبية على مسافة ستين متراً.

عندها صرخ السيد مالك: «يا علي ليك وين»..
وبدا بإطلاق النار عشوائياً.

أما علي فكان إطلاقه للنار طلقة، طلقة.
عندها أشرت عليهم: يا شبان لا تطلقوا النار بشكل رشقي كي لا تنفذ ذخيرتنا.

عندها سأل رائد: ما قصدك بطلقي ورشقي؟
يا أخ رائد طلقي أي نطلق النار طلقي طلقي، أما رشقي فيكون بإطلاق زخات من الرصاص.

كان السيد زيد على مسافة متر واحد من علي.
ناداه: «يا علي ليك احو عمبيدبدب» (يدبدب بالبناني أي يحبو كالأطفال).

هنا علق الشبان الفلسطينيون، لعنة الله عليه.
عاد الحاج حسن ليكمل.

(١) البطلة والمنحني: أسماء سير عسكريه.

فصرخ علي: «قوصو شو ناظر».

وبعد إطلاقه النار، ضحك عليا ووجهه مضىء كالبدر وقال: «ليك ليك، أصبته في دبره. الله اكبر، الله اكبر، أنا أول مرة بقتل يهودي».

أردف الشبان في الزفازنة: «الله اكبر، الله اكبر سلمت يداك يا سيد زيد، هل هناك اكبر من هذا الشرف؟»
بعد استمرار تبادل النيران يا شبان فوجئنا بقذائف الهاون تتساقط الواحدة تلو الأخرى،
وقفت ومسحت عيني لأتحقق مما أرى، لماذا اصبح لون الدخان هكذا؟!
أحمر، أصفر، أخضر، أزرق، زهري...

وكانه قوس قزح، ولكنه كان قريباً جداً، وما هي إلا لحظات حتى أصبحت أصوات أجهزة اللاسلكي التي كانت بحوزة الأعداء بمسمعنا.

عندها أدركنا انهم قدموا لإخلاء قتلاهم وجرحاهم.
وبدأوا بإطلاق النار.

شجاة سمعت صوت الأخ أمير يصرخ يا اخوتي، هناك يهودي يظهر ويختفي، هل ترونه؟
أطلقوا النار عليه. أطلق الشباب النار وبينما كان يدنو من اثنين من رفاقه لسحبهم أوقعه أمير فوقهم صريعا.

ليتكم رأيتموه وقتها يا شبان.
 بدأوا يصرخون كالنساء.
 الله أكبر، وهل ظن بأنه سيسلم.
 في هذه الأثناء صرخ مالك: علي... علي... علي...
 علي.. زيد انصاب يا علي...
 رددت عليه علي اربط إصابته بأي شيء، بعد لحظات
 استدرت إلى الخلف لاستعلم عن إصابة زيد فإذا به
 مبطوحا على وجهه، عينا مقلوبتان، يمسك بيده
 الحشائش ويفرك على التراب، كرضيع يلعب شعر والدته.
 دنوت منه، ناديته زيد... زيد، فلم يرد والسيد مالك إلى
 جانبه يتلقى دمائه التي كانت تتدفق من جرحه بيدي،
 فصرخت فيه اربط إصابته، وانطلق.
 نظر يده وقال، يا الله امتلأت كفي دما، رفعها ونظر إلى
 السماء قائلا، السلام عليك يا زينب يا بطلة كربلاء.
 علق أحد الشبان في الزنزانة: بارك الله بهكذا شباب
 يتحلون بهذه الدرجة من الإيمان والشجاعة.
 دعه يكمل يا أخ، لنغتنم فرصة غيابهم عنا، تفضل يا
 حاج.
 عاد حسن ليكمل.
 بعدد بقليل أصيب السيد مالك.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومن بقي عند
زيد يا أخ حسن.

لم يبق أحد عنده، تمدد مالك بجانب زيد ولم تعد
تسمع إلا زفراتهم الاخيرة!!!.

في هذه الأثناء أصبحنا عالقين بين فكي كماشة إذ ان
اليهود قد انتشروا في كل النواحي حول ميدون، حاولنا
سحب الاخوة الشهداء نزولا، فلم نستطع واصبح الشهداء
في حقل الرمي بيننا وبين اليهود.

قاربت الساعة الرابعة وخمس دقائق فجرا، انبلج الفجر،
وظهرت معالم الأرض.

لم يبق من بيوت تحتاج إلى قذائف لتدمرها!...
في الساحة جثث ثلاثة وعشرين من الأعداء، وإذا نظرت
إلى الخلف ترى أجساداً تشع بهاء كنجمة صباح تختال
على ضوء الفجر.

بينما كنا نعاين المكان فإذا بهدير قوي وغريب نظرنا إلى
التلال الشرقية القريبة، فرأينا مروحيات من نوع كوبرا تحلق
بشكل دائري وتصوب رشاشاتها وصواريخها نحو ميدون.

ولكن تصدى لها الشبان من وسط القرية، وبعد قليل
كانت المفاجأة!!!! مفاجأة، ما هي؟

تسألون، سأخبركم.

فرقة من المظليين اليهود تساندها كتيبة مدرعات تقوم بأول مواجهة على الأراضي اللبنانية وجها لوجه مع المقاومين^(١).

لعنهم الله مجرمين جبنا، ما الخطر الذي كانت تشكله هذه القرية يا أخ حسن حتى يصراً اليهود على هدمها؟ تشكل خطراً؟!

اليهود اجبن من ان يواجهوا طفلاً مسلماً فهم يخافون حتى من الحجر المقاوم، وميدون قرية مقاومة لم يخرج منها عميل واحد من أهلها، ألا تشكل خطراً؟!

ألم يخبركم الحجر الفلسطيني عن جبن اليهود؟ لم تكن ميدون في يوم من الأيام دسكرة عسكرية، ولم يوجد فيها خنادق ولا مكاتب للمقاومة، ولكن موقعها الجغرافي كان يكشف المنطقة البقاعية.

-
- (١) كان يشرف على العملية وزير الدفاع الصهيوني المقهور اسحاق رابين من موقع التوامة المشرف على القرية.
- تعليقات الصهاينة على العملية: «أكبر عملية يقوم بها جيش الدفاع منذ بدء الحرب اللبنانية».
 - صحيفة هآرتس الاسرائيلية: «لقد دارت المعارك بين حزب الله و المظليين من منزل الى منزل».
 - قائد العملية الاسرائيلي (شاؤول موفاز) بحديث على الاذاعة الاسرائيلية أيار ١٩٨٨: «القتال في القرية كان صعباً، وقد غيرنا الخطة».

عندها صرخ الشباب: الله اكبر، هل يوجد أخبار ترفع
الرأس أجمل من هذه الأخبار!
قال أحد السجناء!

إذا لماذا تأخر التحرير لتاريخ الألفين مع وجود تلك
النوعية من الشباب المقاوم؟

في تلك الأيام، لم يكن جميع الشبان اللبنانيين على
تلك الدرجة من الإخلاص والتضحية، فكما كان هناك
مقاومون، كان يوجد من يطعنون بالظهر، ويسخرون من
شبان المقاومة وجهادهم على أساس أنهم يقاومون إسرائيل
التي لا تقهر..

«وعين لا تقاوم مخرز».
والذي كان يحز في الأعماق هو تخلي من سيطر عليهم
الغزو الثقافي الأمريكي بلبوس الحضارة والانفتاح.
وكنتم أول من قهر إسرائيل وهزئ من جبروتها.
لتكن ثقتكم بالله كبيرة، وبإذن الله ستقهر في فلسطين
كما اندحرت من لبنان شرط ان تخلصوا لله، وليس عند
أحد أي شك بذلك.

الالتزام والإخلاص في الجهاد مهم يا شبان.
تأخر الانتصار لأن الشبان في تلك الأيام لم يجتمعوا
على رأي واحد بالمقاومة، فكما كان هناك مقاومون كان

يوجد أيضا في بيروت مثلاً شبانٌ يحتفلون بقدوم مغنٍ عالمي إلى الجامعة الأمريكية.
وشبانٌ آخرون يحيون سهرات عيد العشاق في المطاعم والمرايح الليلية.

وأما الاحتفالات التي كانت أخبارها تدمي قلوب المقاومين فهي التي كان يقيمها العميل لحد في ثكناته لتخريج دفعات من الشبان للخدمة في جيش العملاء.
بينما الحاج حسن يكمل حديثه، قال أحد السجناء، هل تسمعون ما اسمع؟

أنصتوا جميعاً فسمعوا من آخر الممر خطوات نحو زنزانتهم، تظاهروا بالنوم، عندما وصل الشرطي فتح الباب وأغلقه بقوة بغية إزعاج الشبان.
وعاد إلى احتفاله.
بعد أن اطمأن الشبان لذهابه، قاموا وطلبوا من الحاج حسن اكمال حديثه.

قال رائد: يا أخ حسن لقد وصلنا إلى العملية على الأرض.. أجل يا اخوان.
علت شمس الخامس من شهر أيار من العام ١٩٨٨ يرافقتها هدير المجنزرات والدبابات القادمة من ناحية طريق السريرة.

نظرت فلم أجد خلفي إلا السيد علي، فقلت له أننا أصبحنا بوضع لا نقدر فيه على الوصول إلى ميدون للإتيان بما يلزم، ولا التقدم، فلننسحب عبر الوادي في مجرى السيل.

وفي أثناء انسحابنا أردت أن أقي نظرة على مقدمة الهجوم، رفعت رأسي لأرى ما هناك. يا الهي، إنه جدار ارتفع أمامي، ناديت علي.

سألني علي ومن أين الجدار يا حسن.

وما هي إلا لحظات حتى تحققت مما رأيت، إنها جرافة عملاقة ذات جنزير مثلث، يخرج من قمرتها عدة فوهات رشاشات باتجاهات مختلفة.

انسحبنا عبر الوادي بين الأعشاب وسط مجرى ماء العين، إلى أن وصلنا إلى الضفة الأخرى من الوادي تحت الطريق العام أسفل الجبور. استظلينا بظل شجيرات الكرز، وكان في الطريق أمامنا بعض الشبان الذين سبقونا.

تناهت إلى مسامعنا صرخت أحد الشبان من المقدمة: «يا غالب صاروا بين البيوت».

علا الدخان والغبار وأصوات الأحجار التي تنهال، لينكشف بعد دقائق على أحد المقاومين يرفرف في الهواء ليرمي بجسده فوق فرقة مشاة هاتفا: «اللّه أكبر».

بقي الوضع على هذه الحال مدة خمس ساعات، بدأ بعدها جنود العدو بصب حقدهم على ما بقي من القرية، حتى مقبرة البلدة لم تسلم.

فقبور الأبطال كانت تخيفهم.

كان هناك رتل من الدبابات يتقدم على طريق السريرة باتجاه ميدون وطائرات الاستطلاع تحلق في الاجواء، فالعدو ينوي اقتحام القرية!

اسودت صورة الوضع، فالسيد علي لا يملك إلا بضعة رصاصات، وقنبلتين يدويتين، وأنا لم اعد املك شيئاً، وكنا دون ماء ولا طعام منذ اكثر من اثنتي عشر ساعة وكان يظهر بأنها ستطول، فليس أمامنا إلا الانسحاب لتفادي الأسر.

استدرت لأقول للسيد علي: هيا للننطلق خارج ميدون.

قال: واخواني يا أخ حسن.

قلت: انطلق يا علي لا تفكر بتفقد أحد....

دقائق دعني اقف عند استشهاد أخي.

منظر مهيب يا شبان والله.

جلس علي عند أخيه، ضمه إلى صدره، وقال كسرت ظهري يا أخي، أغبطك لانك حصلت على هذا الشرف قبلي.

من يضمّني عند استشهادي يا أخي!!!

السلام عليك يا أبا الفضل.

في تلك اللحظات عاد الطيران يحلّق في الأجواء، بشكل مكثف والدبابات والجرافات تجوب الأرض، الشبان بدأوا بالانسحاب.

منظر إنساني رهيب تجلّت فيه عاطفة الاخوة الصادقة بين اخوة لم تربطهم اخوة الرحم بل ربطتهم اخوة الجهاد. صرخت صرخة لا شعورية أسرعوا يا شبان الطائرات أصبحت قريبة جداً فصوتها لم يعد يسمع، أسرعوا، انسحبوا!!!.

لم أكد اكمل حديثي حتّى وقع صاروخ قريباً مني، ولم أعد أعرف شيئاً إلا أنني استيقظت في مشفى العدو، لا اعلم من استشهد ومن بقي.

عندها قال الشباب بصوت واحد: رحمة الله على الشهداء يا حاج، وإن شاء الله سيأتي يوم تتحرر فيه لتري من بقي منهم أبطالاً يرابطون عند ثغور المسلمين. إن شاء الله يا اخوة، الله كريم.

ولكن عهدا لله في عنقي بأنني سأثبت على خط المقاومة واحفظ دماء اخوتي.

ليس عندنا أدنى شك بذلك، ألسن القائد البطل.

يا اخوان يحضرني الان حديث قدسي ضعود أمام
ناظريكم، واحفظوا انتفاضتكم بدمائكم.
تفضل يا أخ حسن، كلنا سمع.
يبدأ حسن: يقول الله تعالى:

«يا موسى، لو ان السماوات السبع وعامريهن
عندي والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في
كفة مالت بهن لا اله الا الله»^(١).

ورفع القائد حسن يده نحو السماء وقال: «يا اخوة
ستبقى كلمة «لا اله الا الله» هي العليا ولن يستطيعوا
البقاء على ارض المسلمين ما دم فينا قطرة دم حسيني
تنبض.

سبح الشباب في بحر الشهادة والحرية و بكأس الامام،
شربوا الشربة الأبدية التي لا ظمأ بعدها أبدا.
دوى في الكون نداء أطلقوه لزمان بعيد، لبيك ارض
الصمود والإباء.

حرباً حرياً حتى النصر..
زحفاً زحفاً نحو القدس..
كانوا غرس الزيتون في ميدون، ألهبوا شقائق النعمان،

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٩٠، ص ١٩٦.

زادوها حمرة لا كما الشفق بل كلون الدماء الذكية، هم
نبض الأرض.

لقد تحققت رؤيا الشهيد علي حسن شمس، وكان أول
من قرأ الدعوة في عالم الرؤيا.

انتظروا ثم سجدوا السجود الأبدي لله خالق السماوات
والأرض المعشوق الأوحى، سجدوا على قرص الشهادة
منادين:

«هزنا ورب الكعبة».

اختلف المكان مع تطابق الزمان والذكرى.

علي يبني

ميدون

ميدون... هناك في الوادي الضيق حيث تكمن نصف الحقيقة، فيما النصف الآخر تتلمسه هناك في جبل عامل الصامد، وفي القرى والبيوت الصغيرة، في بساتين الزيتون وحقول التبغ، في المنطقة المنسية إلا من لمحات جمال الطبيعة حيث الخصوبة فيها تنعكس خصوبة في النفوس، واستعدادا للعطاء والتضحية.

ميدون.... قرية بقاعية صغيرة في قاموس لكبار، لكنها أصبحت كبيرة تضيء صفحات التاريخ. نقش شهادتها بدمائهم على صخرة قرب أجسادهم وصية برسم كل الأباة والشرهاء.

«سقطنا شهداء ولم نركع، هذا كماؤنا، تابعوا الطريق».

استتبّت الأوضاع الأمنية في البقاع الغربي بعد تراجع جيش العدو الصهيوني مهزوما عن المنطقة. أهالي ميدون لجأوا إلى القرى المجاورة، وبعضهم حطت

به الرجال في مدينة بيروت مع ما كان يجري فيها من أحداث.


لم يبق في القرية إلا علي...

علي ابن الحاج مهدي، الذي حرمه وضعه العائلي من الشهادة رغمًا عنه (وحيد).

أصر على بقائه متمسكا بأرضه، ولسان حاله يخاطب من استشهدوا على أرض قريته.

أعزائي، أحبائي، توافدتم من جميع قرى البقاع، استشهدتم، صنتم شرف ميدون، سأكمل الطريق، لن اتركها..

يوم، يومان، أسبوع، أسبوعان شهر، شهران، سنة، اثنتا عشرة سنة، وعلي لم يترك قريته، إلا لقضاء بعض حاجاته أو الاتصال بأهله الذين ذهبوا إلى بيروت إلى منزل أخته «زينب» أو للالتقاء بهم عند خالته في مشغرة.

قضى علي مدة ليست بالقصيرة حتى انتهى من استصلاح قطعة أرض صغيرة اعتقدها من أملاك والده. وكان قبل ذلك قد نظف ما أمكنه من دمار حسينية القائم  بحيث أصبح هناك بقعة صغيرة لإقامة الصلاة عليها.

جلس علي يتأمل ماذا يمكنه فعله في يومه ذاك.

أراني أقع في حيرة من أين أبدأ اليوم، لأذهب إلى مشغرة
 واستعلم أخبار أهلي.
 لم يعرف علي كيف وصل إلى مشغرة، كيف خرج، كيف
 استقل سيارة من عين التينة.
 وصل إلى منزل المختار.
 تقدم بخطى متثاقلة، تحسبه لا يريد الدخول.
 دخل علي إلى منزل المختار بعد استئذانه، كان لقاء
 الأول مع أهله بعد أن تركوا القرية.
 موقف ليس من السهل وصف وقائعه.
 أمضى الجميع نهارهم يقنعون علي بالذهاب معهم إلى
 بيروت، لكن دون جدوى.
 عصر ذلك اليوم أراد علي العودة إلى ميدون، أهله،
 خالته وزوجها يقنعونه بعدم العودة، وعلي يصر على العودة
 ويقول:
 «ميدون لن أتركها، وإنما سيأتي يوم وتعودون أنتم».
 يا حبيبي يا علي، الشهر وراء الباب، وأنت تعلم طقس
 قريتنا، لا يمكنك البقاء في العراء.
 سأهتم بنفسي يا والدتي لا تقلقي، وكل مرة سأكلمك
 من عند خالتي لا تشغلي بالك.
 ودّعهم علي وانطلق.

عاد علي ليكمل ما بدأه.

أثناء سيره كان يفكر علي ويتذكر ما قالت والدته.

وصل إلى مكان حسينية القرية.

جلس أمامه يفكر، فليس الوقت وقت صلاة.

لكم انسنا بالجلوس بظل بركة القائم ؑ أين أنت يا

حسن ويا علي ويا أمير، لقد ظفرتم بالشهادة على خط

الحسين ؑ وبقيت أنا.

يا وجيها عند الله اشفع لنا عند الله.

دعاء لطالما قرأتموه، وتوسلتم إلى الله ان يرزقكم

الشهادة في حسينية القائم ؑ واستجاب لكم.

وقف علي وتوجه نحو القبلة، رفع يده اليمنى وقال،

عهدا لك يا حجة بن الحسن العسكري ؑ عهدا لأرواح

الشهداء سأواصل الدرب، وستبقى حسينية القائم ؑ

منبت الشهداء والأبوة.

انصرف علي نحو بقعة ارض عند أطلال منزلهم، كان

يتخذ زاوية بقيت من ركن منزل والديه مأوى له.

كان علي يستيقظ فجر كل يوم يقيم الصلاة، ينطلق

للعمل برفع الأنقاض في قريته، ولكن ليست الوالدة التي

توقظه، ما يوقظه هو هم البقاء والصمود.

ومن يرافقه ليسوا حسن واحمد وحسين، اليوم ترافقه

الذكريات، فحنين إلى الماضي تارة، وأمل بتحرير وعودة
يفرضها الصمود والعناد.

كان علي يقسم أعماله، فصباحاً بعد صلاة الضجر يبدأ
بالعمل عند أنقاض الحسينية، وينطلق بعد ذلك للعمل
بمكان منزله.

جلس علي عند منزله ينظر كيف يعمل، ومن أين يبدأ،
يا الله لأبدأ من هنا.

كان أول حجر يرفعه علي من أنقاض منزله يحمل
بشرى البقاء والنصر، حيث لاحت من بين الأحجار تحت
أعمدة الحديد التي كانت ترفع عليها العريشة، نظر إلى
الحجر عندما رأى العامود جلس عنده على الأرض، بدأ
يمسحه بيده كمن يناغي طفلاً رضيعاً، ولسان حاله يقول،
أخبرني، هل لا زالت العريشة خضراء؟ هل بقي عليها حبة
عنب؟ تحرك الحجر عندما مسحه علي تلملم أمامه وكأنه
يقول له أرفع الحجر الذي تحتي، وسيخبرك، فابتسم
ابتسامة دامعة وقام.

لأكمل واستوضح المعالم.

تقدم قليلاً، رفع حجراً آخر فرأى طرف جذع ظهر من
بين الأحجار.

يا الله، وسحبه ونظر إليه وتساءل، أظنه جذع زيتونة.

سأضعه جانباً، وأكمل البحث عن العريشة.

وضعه عند الركن الذي بقي من منزله، نظر إليه فبدأ الجذع وكأنه يخاطبه اذهب يا علي اكمل البحث عن العريشة أتوق لعناقها.

بينما كان علي يعمل نظر نحو السماء فقال، هذه الشمس قد علت أظن ان صلاة الظهر قد حانت، نظر إلى ساعة يده فقال لقد حان وقت الصلاة فعلاً، وضع الأحجار من يده وانطلق نحو الحسينية.

توضاً من قرية كان قد أتى بها من طرف القرية، أدى الصلاة، وانطلق.

عاد ليكمل ما بدأه فقد أصبح بشوق كبير ليعرف مصير العريشة.

رفع ورفع ورفع الأنقاض والحديد، وكأنه كان يعلم انه سيجدها.

وجد علي العريشة.

(اللهم صل على محمد وآل محمد).

ربي احفظ كفي والدي، فطالما قلمها وورق أغصانها لنستمتع بثمرها، عافاك الله يا والدي، وبكى.

تري، كم سيطول غيابه، هل سيعود سالماً فتقر عيني برؤيته هنا.

وضع غصن العريشة من يده، وكان يخال الغصن يخاطبه، هيا يا علي اكمل، اسحبني والقني على جذع الزيتون الذي أنقذته فهو بانتظاري.

كان هذا دأب علي كل يوم من الصباح وحتى المساء، لا يترك عمله إلا للصلاة، وتناول بعض الطعام الذي كانت ترسله له خالته الحاجة خديجة.

كلما قدمت مجموعة شبان إلى القرية كانوا يفاجأون بصمود علي وعناده وتصميمه على البقاء، يساعدونه ببعض الأعمال يقدمون ما كانوا يأتون به ويذهبون خائبين.

عند فجر أحد الأيام أحس بلسعة برد خفيفة، وكان النعاس لا يزال يسيطر عليه فشعر ان والدته ستأتي وتصلح غطاءه، لكن لسعة البرد زادت، هم بالقيام ليرى لماذا تأخرت والدته، فوجد نفسه بالعراء.

اقتدتك يا والدتي الحنون، اقتدت حديثك، ودفع جلساتك، هل ستعودين سائلة؟ هل ستفقدينني؟ قبل ان تنامي، كيف تنامي الان؟ هل سأراها في القرية من جديد؟! تشرين على الأبواب يا علي، وبرد قريتنا قاس، انتبه لصحتك يا علي، إلا تسمع المثل ماذا يقول " برد الربيع تلقاه وبرد تشرين توقاه".

كلمات كانت تترجع في مسامع علي وكأن والدته بجانبه تنبهه.

وبدا علي ببناء غرفة صغيرة ليأوي إليها كل مساء بعد عمله.

صباح يوم من أيام الجمعة، وبينما كان علي يعمل ليستصلح قطعة أرض ليزرعها، لمح من بعيد شاباً يدخلون إلى القرية إذ أصبحت كلها مكشوفة، بعد أن سوّيت منازلها بالأرض.

وصل الشبان.

. السلام عليكم يا أخ.

. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

. من أنتم وماذا تريدون؟ سألهم علي.

. نحن أخوة لك من التعبئة العسكرية جئنا بعد أن علمنا بوجودك هنا، فنحن نكبر روحك وصمودك ونحن بالخدمة.

. هذه الأرض أعطتنا الكثير، هذه الأرض أنبتت من حموها وحضنت من ساندتهم، ألا تستحق بعض الوفاء.

. أصيل والله يا علي، أجابه الشبان.

. تفضلوا لنجلس هنا، وأوماً إلى المكان الذي سواد ورفع فوقه العريشة. على جذع الزيتون الذي سلم.

وقف الشبان مذهولين لما رأوه، لاحظ علي الاستغراب على وجوههم، وقال، لا تستغربوا اجلسوا لأقوم بالواجب، وقطع بسرعة عنقود العنب الذي كان لا يزال عالقا بالعريشة.

قدم لهم العنب، بينما هم لا يزالون مذهولين بالمشهد، هل صحيح ما يروونه، جلس علي وقال للشبان، وهو يمسك بحبة من حبات العنقود هذه الحبات بقيت على العريشة برغم ما تعرضت له لتبقى شاهدة على جلسات الشبان تحتها وستبقى هذه الحبات فاكهة المجاهدين والأبطال المدافعين عن ثغور المسلمين.

جلس علي على الأرض بجانب الشبان، وقال، تفضلوا على فضل الله.

تمسك علي بكبريائه وحافظ على كرمه، مع كل ما مر به وما يعانيه بعد تدمير القرية.

لم يمض وقت طويل حتى حان موعد أذان الظهر، فاصطحب ضيوفه للصلاة في المسجد.

هذا هي حسينية القرية يا اخوة!!

انه مسجد القائم ﷺ.

وهذا ما استطعت ترميمه بعد تدميره، وأشار إلى البقعة التي استصلحها.

. أسمىناها حسينية القائم ، وستبقى قائمة بإذن الله.

. هنا قال أحد الضيوف: البناء ليس مهماً يا أخ علي من مساجد عمار من البنيان، خراب من السكان.
. نحن نراد متراساً ومنطلقاً وسنحفظه، ألم تسمعوا ما قاله الإمام الخميني.

. أي قول له؟ سأل الشبان.

. حديثه حول المسجد، إذ قال:

«المسجد متراس، املؤا متاريسكم».

. ومن منا لا يحفظ هذا القول.

هيا إلى الصلاة.

رفع علي الأذان وأقام الإقامة.

وبعد أن انهوا الصلاة جلسوا يتحدثون.

علي يتذكر...

الشبان يستمعون ويسألونه بشغف.

قبل الهجوم الأخير الذي قام به جيش العدو الصهيوني وتدمير القرية في المرة الأولى، وفد إلى القرية ما يقارب الثمانية وثلاثين شاباً من قوات التعبئة العسكرية الذين دربهم أفراد الحرس الثوري الإيرانيين، وكنا دائماً بحالة جهوزية تامة للتصدي، فالأوضاع في ترد دائم.

ولكن أتدرون ما الذي كان يشحن نفوسنا بالقوة؟
ما هو؟

الصلوة في حسينية القائم عليه السلام وعقد حلقات التوعية بعدها، وفي الليلة التي سبقت الملحمة قرأنا دعاء الافتتاح ودعاء التوسل بالأئمة الأطهار عليهم السلام، ولا أذكر يوماً أنني عشت جواً روحانياً يماثله، ولا أظن أنه سيأتي يوم من الأيام، إذا بعد أن انتهى السيد عادل من قراءة الدعاء قال لنا يا شباب... وتوقف عن الكلام وبكى...
أجهش علي بالبكاء، ثم قال: لكنني حرمت من شرف الشهادة.

عندها أراد الشبان إيقاف علي عن البكاء، فقالوا له: ما تتمسك به وتحافظ عليه، والله ليوازي جهاد الشهداء.
قال أحدهم: رحم الله الشهداء، وإلى أرواحهم نهدي ثواب سورة الفاتحة.

أخ علي، هيا اكمل، كنت نخبرنا عن حديث السيد عادل الموسوي.
نعم.

ذكر لنا السيد عادل رواية بعد انتهائنا من قراءة الدعاء رواية بدا وقتها وكأنه يقرأ مستقبل القرية بإلهام من الله عز وجل.

قال: سأروي لكم رواية ضعوها أمام أعينكم وفي قلوبكم ما دمتم أحياء واكتبوها في دفاتركم.

وهي عن أحد الخلفاء العباسيين الذين اضمروا العداء لآل بيت الرسول ﷺ وعانى أهل البيت منهم ما لم يعانوه من غيرهم، ومما جاء فيها: «أمر بعهدة يهدم الكنائس، والبيع المحدث للنصارى، واجبر أحد الأئمة على الإقامة في منزله وهدم ضريح أحد الأئمة وما حوله من الدور، وأمر بأن يحرق ويذرق ويسقي ليمنع الناس من إتيانه فلم يفلح، وسمي الضريح بالحائر، فأصبح محجة للشوار على مر العصور»^(١).

كفانا فخرا يا أخ بأن شهدائنا كانوا يحملون هذه لروح وما يزيدنا فخرا أنهم وضعوا تلك المبادئ بين أيدينا للمحافظة على خط استشهدوا لأجله، خط مثلهم الأعلى. والان هيا يا أخ علي قم لنساعدك بحزم أغراضك، وستذهب معنا اليوم.

اذهب معكم!! إلى أين؟

تذهب معنا إلى خارج القرية إلى المكان الذي تريد.

(١) د. شاكراً مصطفى، دولة بني العباس، ج ٢، ص ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥.

• الكندي: الولاة والقضاة.

• عن الطبري، ج ٣، ص ١٨٥، ج ٩، ص ٢٠٠، ٢٠١.

مكان وجود اهلك، أحد المقرات، منازلنا جميعا تتشرف
بقدومك.

انتفض علي، وقف، ركز عصا كانت بيده على الأرض
وقال لهم، هنا، هنا سابقى لن اخرج واتركها.

تساور الشبان، ماذا نفعل؟

اتفقوا على البقاء معه، وإرسال أحدهم إلى مقر مشغرة
لإخبار الأخ المسؤول انهم لن يتركوا عليا في ميدون وحيدا،
وإذا تمكنوا من إقناعه سيصحبونه معهم خارجها.

عندما أيقن علي ان الشباب لن يتركوه، عاد لإقناعهم
بأنه لا يوجد مكان ولا غطاء ليناموا عنده، عندها قال
الشبان لا عليك يا علي فكل واحد فراشه على ظهره ولقد
أحضرنا لك واحد أيضا.

سهر الشبان وهم يلتحفون بما أتوا من أغطية.

قبل ان نسألك أي شيء يا علي عن الملحمة البطولية
التي جرت هنا نود إعلامك بأنه بعد أسبوع تقريبا سيأتي
وفد من الجمهورية الإسلامية الإيرانية من مؤسسة
الشهيد لمعاينة أضرار القرية وتقديم المساعدات.

لقد أتوا وقدموا لنا بعض المساعدات العينية في المرة
الماضية.

بارك الله فيهم، قال علي.

يا علي اخبرنا شيئاً عن الملحمة وكيف نجوت.

كيف نجوت!... هذا ما يحرقني.

في مطلع فجر العشرين من شهر رمضان المبارك من العام
أربعين للهجرة، عبق محراب الكوفة برائحة الدم الذكية.
وفي مطلع فجر العشرين من شهر رمضان المبارك من
العام ألف وأربعماية وتسعة عبق محراب الشهداء في
ميدون برائحة دماء الشهداء التي لم تخل من دخان
القذائف ورائحة البارود.

هدأت الأصوات، سكون مخيف لف القرية، استشهد من
استشهد وبقي من بقي لان قائد المحور الحاج حسن منعني
بسبب وضعي العائلي.

وكلفني بحراسة بعض الأسلحة، وأغراض الشبان في
أحد الخنادق.

استأخرت عودة الشباب فلم يرجع أحد لأخذ الذخيرة
منذ ليلة الامس، قمت نظرت من فتحة القبو، حدثت ملياً،
هذه الشمس مالت للغروب، فقلت لنفسي، لأخرج قبل
حلول وقت صلاة المغرب، وأدعو للشبان بالسلامة.

السلامة!!

لم ادر أنهم لن يعودوا.

خرجت ويا ليتني لم اخرج، سكون لف القرية، ظننت ان

الشبان يكمنون للعدو، ولكن حمرة لفت القرية حيرتني، لم
اشهد هكذا غروب في القرية في حياتي، لما هذه الحمرة؟
خرجت ويا ليتني لم اخرج، تمنيت لو فقدت بصري قبل
ذلك اليوم.

بدأت بالتقدم، أخذني حدسي وكان أحدا يسيرني نحو
بستان الزيتون، حيث الفاجعة.

وقفت أمام مصرع الشباب، يا رب من أحضن ومن اترك
كلهم أحبائي صرخت بأعلى صوتي: يا مهدي.
كان اقرب شهيد امامي وقعت على صدره حتى أغمي
علي.

فتحت عيني لأجد نفسي لا أزال عند مصارع لشهداء،
وقفت، توجهت نحو الشرق، رفعت يدي اليمنى وقلت:

السلام عليك يا أمير المؤمنين.

السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين.

وصلت القافلة، كيف كان الاستقبال.

ثم توجهت نحو القبلة:

السلام عليك أيها المرتجى لإزالة الجور والعدوان.

السلام على صاحب يوم الفتح.

عهدا لك في عنقي. يا حجة الله في أرضه وسمائه بأني

لن استسلم ولن اترك القرية.

عدت حائرا ماذا افعل؟

لذت بالخندق لأقضي الليل لأرى ماذا يمكنني فعله عند الصباح.

أول شيء قممت به عند عودتي إلى الخندق، قممت وبحركة عضوية بدأت بتفقد أغراض اخوتي والتفجع عليهم، ولحسن حظي وجدت مجموعة من الوصايا المفتوحة وقد وضع بعضها فوق بعض.

هل لا زلت تحتفظ بها.

نعم، وبأذن الله الجبار لن أسلمها إلا لقائد العملية، بإذن الله عندما يفك أسره بقوة العزيز الجبار، فحسب معلوماتنا ان القائد حسن أسير لدى قوات الاحتلال.

هل تتكرم علينا بقراءة قبسات منها؟

نعم، وبكل فخر واجعلها وصية في اعناقكم لحفظ خط المقاومة، الوصية الأولى كانت للشهيد علي حسين شمس، ومما جاء فيها:

«هذا هو الطريق فاسلكوه».

وكتب الشهيد حيدر الموسوي:

«لا خيار لنا سوى النهوض».

أما الشهيد زيد الموسوي فقد أوصى:

«أخوتي عليكم بالجهاد الأكبر وهو جهاد

النفس وتربيتها وإصلاحها وتربيتها على
الأخلاق.

لأرى هذه الوصية لمن؟

الظاهر أنها طويلة، طولها آثار فضولي لأقرأها. كانت
وصية الشهيد حسن شكر يقول فيها:
«أخوتي توحشوا، توحشوا، توحشوا».

وهذه لمن؟

سأل علي نفسه تصفحها فإذا هي وصية الشهيد حسن
هادي مرتضى كتب فيها:

«أخوتي عليكم أن تميزوا بالصفاء وثبات
العقيدة وصلابة الموقف».

قرأت عليكم هذه الوصايا الخالدة وأضعها أمانة في
أعناقكم وقلوبكم.

أما أنا فلن أترك أرضي.

لن أخون دماء الشهداء.

سأنفذ وصاياهم.

كلمات مازال علي يرددها ويصر على العمل بها حتى
ظهور الحجة المنتظر ﷺ.

داهمت أشعة الشمس عليا في غرفته التي رممها، وجعل
من قطع الخشب بابا لها، كل ذلك من دون أن يستعمل أي

شيء حتى لو كان هذا الشيء مسمارا من خارج القرية، فكل ما استعمله هو مما بقي.

كان علي يومها يريد زراعة بعض شتلات التبغ التي أحضرها من مشغرة في قطعة الأرض التي استصلحها. نهض، فك شريطا كان يثبت به الباب، نظر خارجا، ووقف.

(اللهم صل على محمد وآل محمد).

سبحانه ما أعظم شأنه!!!

بدأت معالم ميدون القرية التي كانت تتمتع بطبيعة جميلة خلابة تعود شيئا فشيئا، فهذه عريشة الحاج مهدي ارتفعت مكان منزله وعادت تثمر كما كانت، جذع الزيتون الذي ألقى علي عليه العريشه فرخ فروخا عديدة من الأرض.

بينما كان علي يعاين بعض مظاهر الحياة التي عادت إلى القرية، وهي تبشر بمستقبل حي نابض للقرية. أخذ منظره من أبداع ما رسمه الخالق العظيم عز وجل.

أشعة الشمس العاشقة الدافئة، تلثم وجه الأرض البارد الرطب، فيتصاعد منها بخار خجل، يخبرها ماذا تضرر فتلقي عليها قوس القزح وشاحا يزيد جمالها.

اشتعل في قلب علي دفاء شمس ميدون واكتسب من لونه تربة تلك القرية سمرة زادته جمالا وصبغت وجناته بحمرة شفقتها.

اما برودة أعصابه وطمأنينته التي اكتسبها من الثلج الذي يكلل الجبال فيها فعلامة صمود لا يوازي.

قال علي متذكرا أمه: عافاك الله يا والدتي، أطال عمرك أنت لا تفارقين مخيلتي، ولا قلبي لحظة واحدة.

أذكرك عندما تقولين لي عند رؤيتك لقوس قزح:

يا علي المثل يقول: «إذا كان شرق وغرب نام عالدر».

واليوم ها هو قوس قزح مصوب إلى الشرق فالأنطلق إلى

عملي.

يا لله، اوصد باب الغرفة وانطلق.

حمل علي ما أحضره من شتل التبغ وانطلق لبدء العمل.

وصل علي إلى قطعة الأرض التي استصلحها، وبدأ

العمل، فمع كل شتلة كان يغرسها كان يحدث والديه تارة

وتارة أخرى يبوح للشتلات بما يراوده من شعور وأحاسيس،

ولسان حاله يقول:

أنا شبیهك يا ارضي الحبيبة، اخفي سرا كبيرا، أنت

غمرك ويقدره الله قوس قزح وحفظك، أما أنا فلن أبوح

بسري حتى يأذن الله بوشاح يغمر ذلك لسر ويحميه.

انتهى علي من زراعة التبغ، وضع المجرشة^(١) من يده وكلم الشتلات قائلاً، بإذن رب العالمين لن يجني موسمك هذا العام إلا أبو علي وأم علي، وامسك حفنة من التراب وقبّلها وذرّها على ما زرع ومشى.

(١) المجرشة: أداة من أدوات الزراعة، صغيرة تحفر بها الأرض لزراعة الشتلات.

عادوا

الزمان: ٢٤ أيار / ٢٠٠٠.

المكان: مدخل قرية ميدون البقاعية.

ميدون كباقي القرى اللبنانية المحررة، بفارق واحد هو أنها كنت شبه مهجورة وخالية من أهلها. ولكن مشهد ذلك اليوم توحد في جميع القرى، فالأهالي وبطريقة عفوية ودون ان يتفق أحد مع الآخر اجتمعوا على مدخل القرية وكل يسلم مستغربا ويسأل، كيف علمتم بأننا سنأتي؟
ميدون التي طالما بقي مدخلها طوال سنين الاحتلال مقطوعا بجذوع شجر الوزال، حيث كان علي ومن يفد إلى القرية يعبرون فوقها للدخول.

انتفض من تلك الجذوع سبعة عشر لتقف كحوريات غواني في حفل زفاف أميري ترفل بأثواب صفراء تضيء سماء ميدون، وزينت رؤوسها بتيجان مرصعة بزمردات خضراء ضحت في سبيل التحرير تراها من بعيد وقد انحنت انحناءة احترام وإجلال ويبد كل واحدة زنبقة حمراء ليكون أول الفاتحين الشهداء أصحاب النصر ثم

يعودون ليتمأهوا في حمرة الزنبقات ولألة جواهر
التيجان.

علي يتناول قهوته تحت العريشة أمام غرفته، تناهت إلى
مسمعه صرخات أهل القرية على مدخلها: «الله اكبر، الله
اكبر، النصر للإسلام والموت لإسرائيل».

توجه علي نحو مدخل القرية، فوجد أهل القرية قد
عادوا، ورأهم بمنظر ملائكي مهيب.

الجميع يسجدون سجدة عفوية شكرا لله العلي القدير
على نصره المبين.

فرح، نصر وهوريات...

منظر عظيم يعطل لغة الكلام وتعجز معه الأقلام، ولا
شيء بعد إلا الدمة.

شقت الحاجة أم حسن الجموع، وقفت أمامهم، نثرت ما
أحضرت معها من أرز وزهور وهي تزغر:

«أوها ولو أبو هادي مال، بميل الجمع عا ميلو

أوها وكل من سمع صوتو انهض حيلو

أوها ومية فارس ما هي بطرف عينو

تنزاول الحز من دقة زرار خيلو..

«أوها السيد حسن يا محلب وعود الند

يا جسر بولاد لا يفنى ولا ينهد

«صبت ربي وخالفني عن جد

تعلني بيارك وما تعلني فوق بك يد»..

زغردت معها النساء ودموع الفرح قد غسلت مآقيهن،

وتقدم الرجال لنحر الخراف قبل الدخول إلى القرية.

كانت الحاجة أم علي في تلك اللحظات تخرج من كيس

كانت تحمله ما أحضرت من ورد وأرز، تقدمت أمام الجموع،

قومت انحناء ظهرها سائدة خصرها بكلتي يديها

وصرخت:

«يا علي رجعنا.....!».

واختلطت زغاريدها بزغاريد النساء، تقدمت أمامهن

خطوات، نثرت ما حملته وأطلقت زغرودة أخرى:

«أوها الحمد لله العجبي قلبي وما قصر

وانسد جرح الهوى من بعد ما نشر

أوها وحياة اللي الو نجوم الليل تنفس

صرلي زمان وعما هاليوم بتحسر».

عادت وصرخت:

«رجعنا يا علي رجعنا.....».

ونثرت ما بيدها من ورود وعادت تزغرد:

«أوها يا فرحة اللي طول العمر بنظرها

سلت رب السماء العاليه يكملها

وتكلمت يا كريم بأهل الكرام
وتكلمت بعناية ربنا العالی.

وبينما كانت الحاجة أم علي ترفع يدها لتنتشر ما تبقى
معها من أرز وورد، امسك علي بيدها من الخلف، قبلها.
تعانقا وبكيا...!

نظر إليها قائلاً، انحنيت يا والدتي، وبكى.

أبعدته بقوة عن صدرها وقالت:

«والدك يتكئ أيضا على عصاه»..

عادت عانقته وقالت:

حبيبي يا علي عدنا.....

عدنا جميعا مرفوعي الرأس، وأسرت في أذنه:

«عاد الحاج أبو حيدر سالما ومعه أولاده جميعاً».

ابتسم علي ابتسامة الواثق الراضي.

ولسان حاله يقول، الحمد لله،

عاد الحاج أبو حيدر،

عادت فاطمة.....

فاطمة محسن القرصيفي

٢٠٠٤/١/٢٩

هذا ما وعدنا إياه رب العزة:

«إن ينصركم الله فلا غالب لكم» .

ولله رجال إذا أرادوا أراد .

ونحن كلنا في المقاومة الإسلامية نرضى بما يرضاه الله،

وما زلت أنا العبد الفقير أفتش عما يرضي الباري عني،

لأن الإنسان المؤمن ممتحن طالما أنه في هذه الدنيا، وأرجو

أن أكون من خدام مولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا

لترب مقدمه الضاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أحد الشهداء الأحياء (م.ع)

هذا ما وعدنا إياه رب العزة (إن ينصركم الله فلا غالب لكم)
 والله رجال إذا ارادوا... أراد
 ونحن كلنا في المقاربة الإسلامية نرضى بما يرضاه الله ،
 وما زلت أنا العبد الفقير أنفُس بما يرضى الباري عني ، لأن الإنسان
 المؤمن مطمئن لما آتاه الله في هذه الدنيا ، وأرجو أن أكون من عتاد
 مولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا للرب مقدمة الفداء...
 والسيدم عليكم ورحمة الله وبركاته...

أحد الشهداء الأحياء (م.ع)

